



د. نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع كامل صدقي بالفجالة . القاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥

الشريكان

ليل ونهار ..
حب وكراهية ..
حياة وموت ..
لكى يمضى هذا العالم إلى الأبد ، لابدّ دومًا من وجود شريكين ..
ومتناقضين ..

د . نبيل فاروق

١ ـ الميراث ..

« نريد حقّنا ... » ..

انطلقت هذه العبارة فى عنف واضح ، وبصوت يجمع ما بين الصرامة والاستفزاز ، على نحو جعل (ليلى) ترفع عينيها إلى المتحدِّثة ، وتغمغم فى حَيْرَة :

ــ حقّكم ؟!

اندفعت صاحبة العبارة تقول فى حدَّة :

ــ نعم .. حقّنا .. هل تصوَّرت أنك سترثين وحدك كل ما تركه شقيقنا الراحل (رحمة الله عليه) ؟.. لا .. لو أنك تتصوَّرين هذا فأنت واهمة ، فلن تحصلى إلا على نصيبك الشرعى ، مع اعتبار أنك لم تنجبى ، وأن .....

تطلَّعت إليها (ليلى) فى دهشة وحَيْرَة ، وبدا لها سيل العبارات المنهمرة من بين شفتى المرأة كهدير أمواج بحر متلاطم ، بلا معنى أو مبرِّر ، ولم تعُد تفهم كلمة واحدة منها ، وأعماقها تموج بغضب هادر ..

حقّكم ؟!

اليوم فقط أتوا يسعون لنيل حقهم !!..
اليوم فقط جاءوا !!..
أين كانوا طيلة السنوات العشر الماضية ؟..
أين ؟..
وعلى شفتيها ارتسمت ابتسامة باهتة ، تجمع ما بين السُخرية والمرارة ، وعقلها يسترجع شريط ذكرياتها ..
لقد ارتبطت بتلك الأسرة منذ عشر سنوات ..
منذ تقدَّم (منصور حمَّاد) يطلب يدها من والدها ..
لقد كانت — آنذاك — فى التاسعة عشرة من عمرها ، وكان (منصور) فى الثامنة والخمسين ..
نعم ..
كان يكبرها بتسعة وثلاثين عامًا كاملة ..
ولكنه كان ثريًا ..
يومها أصابها الهلع ، وانكمشت فى حجرتها مذعُورة ..
يومها تجمَّدت دموعها فى مُقْلَتَيْهَا ، فلم تُذْرِف دمعة واحدة ..
ولكنها توسَّلت ..
توسَّلت إلى والديها أن يرفضا الرجل ، ولكنهما نهراها ، واتهماها بأنها لم تنضج بعد ، وبأنها تجهل مصلحتها ، وما ينبغى أن تتمسَّك به ..

وهاجمها والدها ؛ لأنها ترفض التضحية من أجل أشقائها ، الذين يعانون شَظَفَ العيش مع والديهما ، لفقرهما وفقرها ..
واتهمتها والدتها بأنها تسبح فى عالم الخيال ..
وربما كان هذا الاتهام الأخير حقيقيًا إلى حدًّ ما ..
لقد عاشت (ليلى) عمرها كله سابحة فى عالم الخيال ..
خيال وردى جميل ..
لقد نمَت وسط والديها ، وأشقائها الخمسة ، لتجد نفسها واحدة من أسرة فقيرة ، يكافح عائلها ليقيم أَوَدَهَا ، ويعمل ليل نهار ، من أجل بضع جنيهات ، تكاد تكفى الغذاء ، مع قليل من التدبير والتنسيق ..
ونادرًا ما كانت (ليلى) ترتدى ثوبًا جديدًا ، صُنِع خصِّيصًا لها ، بل كانت ترتدى — عادة — أحد أثواب (نادرة) ابنة عمها ..
ولكن هذا لم يؤلمها أبدًا ..
لقد اعترفت لنفسها — منذ حداثتها — أنها من أسرة فقيرة ، وحاولت أن تكيِّف نفسها مع هذا الواقع ، وأن تستسلم لمصير لا تملك تغييره ..
وأدركت جيِّدًا أنها لا تملك سوى جمالها ..
ولقد كانت حقًّا جميلة ..

إنها بيضاء البشرة ، عسليَة العينين ، سوداء الشعر ناعمته ، دقيقة الفم ، واسعة الحَدقَتين ..

وكانت هذه الملامح تصنع من وجهها تحفة فنيَّة ، وروضة يتيه فيها البصر ، ويخفق لها الوجدان ..

وفى خيالها ، صنعت (ليلى) لنفسها عالمًا خاصًا ..

وفى أحلامها أحاط بها عالمها الجميل ..

عالم مثالى ، لا مكان فيه للفقر أو المرض ..

عالم بلا آلام ..

بلا عذاب ..

وكانت تحتمل عذاب يومها كله ، فى انتظار ساعات النوم ،حيث تهنأ فى عالمه الجميل الساحر ..

وكثيرًا ما شعرت والدتها بالدهشة ، عندما رأتها تستيقظ منشرحة الصدر ، تعلُو شفتيها ابتسامة حالمة ، على الرغم من أنها مُقدمة على يوم شقاء آخر ..

ولقد فسَّرت أمها ذلك بأنه نوع من القناعة والرضا ..

وارتاحت لهذا التفسير ..

وفى خيالها ، راحت (ليلى) ترسم صورة لفتى أحلامها ..

والعجيب أنه كان يختلف عن كل الشبَّان الذين يحيطون بها ..

يختلف تمامًا ..

كان أكثر وسامة ، وأكثر جمالًا وفتوة ..

كان يأتى إليها مع أحلامها ، ممتطيًا جواده الأبيض ذا الجناحين ، فيحملها بين ذراعيه ، ويلكز جواده بمهمازين من الفضة ، فيفرد الجواد جناحيه ، ويصهل فى رفق ، ثم يحلِّق بهما فى سماء الحب ..

وعاشت (ليلى) تنتظر فارس أحلامها ، وجواده .. وحبه ..

ثم ظهر (منصور) ..

ظهر فجأة ؛ لينتزعها من عالم أحلامها ..

ليختطفها من فارسها ..

ليسرقها من فوق جواد أبيض مجنَّح ..

وأصابها الذُعر ..

إنهم يهدمون جنَّتها ..

يسرقون حتى أحلامها ..

إنهم يقتلون آخر ما تبقى لها ..

ولكنها لم تكن تملك الرفض ..

لقد أرادت ذلك ، ولكنها لم تستطع ..

لقد كان (منصور) جارًا لهم ، وكان يفُوق والدها عمرًا ، ولقد تزوَّج من قبلها امرأة جميلة ، عاش معها عشر سنوات ، ثم

تم الطلاق بينهما فى هدوء ، وأشاع بعض أبناء الحى أن الزوجة قد طلبت الطلاق ؛ لأن زوجها لا يُنجب ، وبلغت هذه الشائعة والديها ، وأيداها ـــ حينذاك ـــ فى حماس ، ثم تناسياها بغتة ، عندما جاء (منصور) يطلب يدها هى ..

كل هذا ؛ لأنه ثرى ..

ولأنه يمتلك فندقًا متوسط الطراز والجودة ، فى أحد المناطق الحيوية فى (الإسكندرية) ..

وأدركت (ليلى) أنها قد صارت ـــ بالنسبة لوالديها ـــ طَوْق نجاة ..

صارت طوقًا ينتشل الأسرة كلها من حياة الفقر والفاقة ..

لقد اشتراها (منصور) ..

نعم .. اشتراها ..

لقد دفع لِوالدها مهرًا ضخمًا ، وأتاها بشبكة ثمينة ، حسدتها عليها كل فتيات الحى ، وتكفَّل وحده بشراء كل الأثاث ومتطلَّبات منزل الزوجية ، بل ومنحها المنزل نفسه رسميًّا ..

كان سخيًّا فى الواقع ..

وقبلت (ليلى) الزواج ..

قبلت أن تتنازل عن كل أحلامها ، من أجل أسرتها ..

من أجلهم فقط ..

« ماذا تقولين يا أرملة أخى ؟.. » ..

انتزعتها العبارة مرَّة أخرى من ذكرياتها ، فعادت ترفع عينيها إلى وجه (زبيدة)، أخت زوجها ، وإلى وجنتيها المكتظتين ، وشعرها الأحمر المصبوغ ، وشفتيها المكتنزتين ، وعينيها اللتين تحملان كل التحدى والعدوانية ، قبل أن تقول فى خُفوت :

ـــ فى ماذا يا (زبيدة) ؟

شهقت (زبيدة) مستنكرة ، وهى تهتف :

ـــ ألم تستمعى إلىَّ ؟!.. قلت لك إننا سنحصل على حقِّنا حتمًا ، أنا وأشقائى ، وكل هذا بالقانون .. إننا نعلم أن (منصور) قد كتب شقتكما باسمك ، ولكننا نملك حقَّنا فى الفندق ، وهو يساوى ثروة باهظة كما تعلمين .

شعرت (ليلى) بغضب عارم فى أعماقها ..

أى فندق تريد تلك الوقحة ؟..

لقد كان مجرَّد فندق من فنادق الدرجة الرابعة ، عندما تزوَّجت (منصور) ، ولكنه اليوم واحد من أرقى فنادق الدرجة الأولى بـ (الإسكندرية) ، وكل هذا بكفاحها وعرقها ، فكيف تحصل عليه تلك الحِرْباء بهذه السهولة .

قرأت (زبيدة) الغضب المرتسم على ملامح (ليلى) ، فضمَّت حاجبيها ، وهى تقول فى صرامة :

— أتحبين اللُّجوء إلى القضاء يا أرملة أخى ؟
تطلَّعت إليها (ليلى) طويلًا فى صمت ، ثم مالت نحوها ، تسألها بغتة :
— أتعلمين كيف كان هذا الفندق ، عندما جئت أنا ؟
أجابتها (زبيدة) فى سُخرية وتحدٍّ :
— كان ملكًا لأخى ، كما هو الآن .
صاحت (ليلى) فى غضب :
— بل كان فندقًا حقيرًا ، يسكنه من الجُرْذان ما يفُوق من سكنه من البشر منذ منشئه ، ويخشى النزيل فيه الخروج إلى شرفته ، المطلَّة على البحر ، خشية أن تسقط به ، من كثرة شقوقها وتصدعاتها ، ويصاب النائم فيه بكل أمراض الدنيا ، لقذارة الغرف وإهمالها .. أتعلمين ماذا صنعت أنا به ؟.. لقد جعلت منه فندقًا محترمًا ، لا يقطنه إلا كبار القوم .
هتفت (زبيدة) :
— لقد فعلت كل هذا بنقود أخى .
صاحت غاضبة :
— خطأ .. لقد كان شقيقك (رحمه الله) ثريًّا ، بالمقارنة بأسرتى فحسب ، ولكن بالقياس إلى عالم الفندقة والسياحة كان فقيرًا .. بل معدمًا .. إنه لم يكن يملك ما يكفى لتحويل

الفندق إلى ما هو عليه الآن ، ولا حتى إلى ربع ذلك .. أنا فعلت كل هذا .
هبَّت (زبيدة) من مقعدها ، هاتفة فى حِدَّة واستنكار :
— أنت ؟!.. أنت أيَّتها المعدمة ؟!.. أنسيت كيف كانت أسرتك ، قبل أن يقترن بك أخى ؟.. أتنسين أنه هو الذى نجح باتصالاته ، فى أن يحصل والدك على ذلك العَقْد الجيِّد ، فى دول الخليج ؟.. أنسيت أنه هو الذى جعل منكم بشرًا .
صاحت (ليلى) مُختنقة :
— لعنة الله عليك .. لقد كنَّا دومًا من البشر ؛ لأن الله (سبحانه وتعالى) خلقنا كذلك ، وليس لأن شقيقك (رحمه الله) قد منح والدى عَقْدًا وبعض المال .. ثم إننى لم أدع أننى قد أنفقت مالًا على هذا الفندق ، بل .. لقد حوَّلته إلى ما هو عليه بالعقل فقط .
أطلقت (زبيدة) ضحكة ساخرة هازئة ، وهى تقول :
— العقل ؟!.. يا لها من سُخرية !!.. أى عقل هذا يا بنيَّة ؟ إنك تحملين شهادة الإعدادية فحسب .
غمغمت (ليلى) فى مرارة :
— لم يكن ذلك تقصيرًا منّى .. لقد حصلت عليها بتفوُّق ، ولكنه الفقر .

ثم اعتدلت ، مستطردة فى صرامة :
ـــ ثم إن الذكاء لا يحتاج إلى شهادة .
وعادت تميل نحو (زبيدة) ، مردفة فى حِدّة :
ـــ أتعلمين ما الذى فعلته بهذا الفندق ؟.. لقد وجدت أنه يتميَّز بنقطة واحدة ، ألا وهِي موقعه ، حيث إنه يطلّ على البحر مباشرة ، وفى منطقة حيوية أنيقة ، لذا فقد ذهبت إلى أحد البنوك الاستثمارية ، وطلبت منه قرضًا ، بضمان الفندق ، والتقيت بمدير البنك ، وشرحت له فكرتى كلها ، لتحويل الفندق إلى فندق سياحى من الدرجة الأولى ، ولقد اقتنع الرجل ، ووافق على أن يمنحنى القرض ، مقابل فائدة منخفضة ، على أن يحصل على مقرٍّ دائم فيه ، للتعامل فى العملات الأجنبية .. ولقد تردَّد (منصور) كثيرًا فى قبول العرض ، ولكننى أقنعته بدورى ، ورحنا نعمل بكل الهمَّة والنشاط ، طيلة عامين كاملين ، حتى صار الفندق على ما هو عليه ، وحصلنا من وزارة السياحة على ترخيص جديد ، جعل فندقنا يحمل خمسة نجوم ، وكنّا نسدِّد أقساط القرض وفوائده فى يُسر ، حتى انتهى ، وصار الفندق ملكًا لنا .
قالت (زبيدة) فى صرامة :
تقصدين لنا .

هتفت (ليلى) فى عصبيَّة :
ـــ بل لى ولـ (منصور) رحمه الله .
صاحت (زبيدة) فى تحدٍّ :
هُرَاء .. هناك شرائع وقوانين .
هتفت (ليلى) غاضبة :
ـــ وأين كانت هذه الشرائع والقوانين ، عندما سقط شقيقكم مصابًا بالفشل الكُلوى ، وراح يبحث عن كُلية أحدكم ، فهربتم جميعًا ، وخشى كل منكم أن يهبه كُليته ؟
صاحت بها :
ـــ ولِمَ لَمْ تفعلى أنتها المثالية ؟.. ألم يكن زوجك ؟
صاحت (ليلى) :
ـــ ومن قال إننى لم أفعل ؟
وانهمرت الدموع من عينيها ، وهى تضيف فى حُزن :
ـــ لقد حاولت .. حاولت .. ولكن الأطباء قالوا : إن فصيلة دمى تختلف عن فصيلة دمه ، وأن هذا يجعل تبرُّعى له بكُليتى مستحيلًا .. لقد كان يحتاج إلى كُلية منكم .. أنت تعلمين أن فصيلة دمكم نادرة .
أشاحت (زبيدة) بوجهها ، وكأنها تفرّ من المسئولية ، وهى تقول فى حِدّة :

ـ كان يمكنه أن يبتاع كلية .. لقد كان ثريًا .
قالت (ليلى) فى مرارة :
ـ لقد حاول .. لقد نشر إعلانًا بهذا المعنى ، فى كل الصحف تقريبًا ، ولكن فصيلة الدم النادرة وقفت عقبة فى سبيل ذلك ، وظلَّ هو يُعانى ، ويتألم ، ويشكو من جحودكم ، حتى لفظ أنفاسه الأخيرة .
غمغمت (زبيدة) :
ـ فليرحمه الله .
ثم التفتت إليها ، مستطردة فى عناد :
ـ ولكن هذه القصة المؤثرة لن تحرمنا حقنا من ميراث أخينا .
مطَّت (ليلى) شفتيها ، وهى تقول فى ازدراء :
ـ الميراث !!.. لعنة الله على المال .. أهذا هو كل ما تسعون خلفه .
تطلَّعت إليها (زبيدة) فى سُخرية ، وهى تقول :
ـ أظننا لا نختلف كثيرًا فى هذا الشأن يا صبيَّة .. لقد تزوَّجته أيضًا من أجل المال .. أليس كذلك ؟..
خفضت (ليلى) عينيها ، وهى تقول :
ـ أهلى وافقوا عليه من أجل المال ، ولكننى لم أعش معه للمال فقط .

أطلقت (زبيدة) ضحكة متهكِّمة ، وهى تقول :
ـ أستدَّعين أنك كنت تحبِّينه ؟
قالت (ليلى) فى جِدَّة :
ـ إننى لم أكرهه على الأقل .
وصمتت لحظة ، ثم أضافت فى حزم :
ـ ولم أخنه .
وانطلقت من أعمق أعماق صدرها زفرة حارَّة ، قبل أن تستطرد :
ـ صحيح أن أهلى قد وافقوا على زواجه منِّى ، من أجل المال ، وصحيح أننى قد شعرت بالمرارة لذلك ، ولكننى لم أكد أتزوَّجه ، حتى صِرْت له زوجة مخلصة ، ولقد كان هو حنونًا رقيقًا ، طيِّب القلب ، حُلو اللسان والمعشر ، حتى أننى استكنت إليه ، وارتحت إلى جواره ، ولم أفتقد معه سوى .....
صمتت لحظة ، ثم أضافت فى حزن :
ـ سوى الأطفال ، والشعور بالأمومة .
هتفت (زبيدة) فى صرامة :
ـ بل هو افتقد ذلك .
ابتسمت (ليلى) فى مرارة ، وهى تقول :

ـــ أحقًا ؟!.. فلتعلمى إذن أن شقيقك قد اعترف منذ سنوات قليلة بأنه المسئول عن عدم الإنجاب ، خاصة بعد أن تزوّجت زوجته السابقة ، وأنجبت خمسة أطفال ، ولقد كان يبذل أقصى جهده ليعوّضنى عن مسئوليته هذه .

انعقد حاجبا (زبيدة) فى شدة ، وقالت فى حدّة :

ـــ حسنًا .. فليكن .. هذا لا يَعْنِينِي كثيرًا ، ولا يَعْنِى أحدًا من أشقائى ، فنحن نريد حقنا .

ارتفع فجأة صوت هادئ يقول :

ـــ أى حقٍّ يا مدام (زبيدة) ؟

التفتت (زبيدة) فى حدّة إلى مصدر الصوت ، وشاركتها (ليلى) هذه الالتفاتة ، ووقع بصراهما على وجه رجل وقُور ، فى منتصف الخمسينات من عمره ، أشيب الشعر ، يقف هادئًا فى حُلّة أنيقة ، ممسكًا حقيبة سوداء من الجلد ، فغمغمت (زبيدة) فى توتُّر :

ـــ أستاذ (مختار) .. ماذا تفعل هنا ؟

ابتسم الأستاذ (مختار) فى هدوء ، وقال وهو يجذب مقعدًا ، لينضمّ إلى مجلسهما :

ـــ إننى أُؤدى عملى يا سيّدتى .. أنسيت أننى محامى المرحوم ، ومحامى الفندق أيضًا ؟!

اعتدلت وهى تقول فى حدّة :

ـــ أعلم ذلك ، وأظن وجودك هنا ضروريًا ، فأنت تعرف قوانين الميراث بالطبع .

حافظ على ابتسامته الهادئة ، وهو يقول فى بساطة :

ـــ أعرفها بالطبع ، وأعرفك أيضًا يا سيّدة (زبيدة) ؛ لذا فأنا أعتقد أن توزيع ميراث شقيقك الراحل سيسبّب لك صدمة .

اتسعت عيناها فى توتُّر ، ثم مالت نحوه ، قائلة فى تحدٍّ :

ـــ اسمع يا رجل .. إننى أعرف القانون أيضًا ، وأعرف أنه لا يحقُّ للمتوفى أن يوصى بأكثر من ثلث ثروته ، وأنه لا وصية لوارث ، و .....

قاطعها فى هدوء :

ـــ ومن قال إننا سنخالف القوانين أو الشرائع ؟

اعتدلت ، وهى تقول فى شراسة :

ـــ ماذا عنيت إذن ، بقولك : إن الميراث سيصيبنى بصدمة ؟

أجابها فى هدوء شديد ، وابتسامته ما زالت تملأ شفتيه :

ـــ كنت أعنى ما لن يخطر لك ببال يا سيّدتى ، فالمرحوم لم يترك ميراثًا .. بل لم يترك شيئًا قَطُّ ..

وكانت حقًا مفاجأة !..

مفاجأة مُذهلة !!..

* * *

٢ ــ الدَّخيل ..

توقَّفت سيارة فاخرة ، أمام فندق (ليلى) ، وجذب طرازها الحديث انتباه خدم الفندق ، فأسرع أحدهم يفتح بابها لقائدها الشاب الوسيم ، وأسرع آخر ينحنى أمامه ، ويسأله عن حقائبه ، وعما إذا كان ينوى الإقامة فى الفندق لفترة ما ، ولكن الشاب اكتفى بابتسامة هادئة رصينة ، ولوَّح بكفِّه نافيًا وجود أيَّة حقائب معه ، وإن أجاب خادم الفندق ، عن سؤاله الخاص بالإقامة ، قائلًا فى هدوء :

ــ نعم .. أعتقد أننى سأقيم فيه طويلًا .. طويلًا جدًّا بإذن الله .

كان جوابه باعثًا على الحَيْرَة حقًّا ، فكيف يؤكد أنه سيقيم بالفندق طويلًا ، فى حين أنه لا يحمل أيَّة حقائب ؟!..

ولكنِ الخادم لم يقلق نفسه بالبحث عن جواب ، وإن شعر ببعض الضِّيق ؛ لأن الشَّاب لم يمنحه (بقشيشًا) سخيًّا ، كما تصوَّر وهو يهرع إليه ، وإنما ألقى إليه مفاتيح سيارته ، قائلًا فى لهجة آمرة :

ــ ضع السيَّارة فى مكان آمن .

سأله الخادم فى صوت يشفُّ عن خيْبة أمله :

ــ هل ستخرج سريعًا يا سيِّدى ؟

أجابه الشاب فى حزم :

ــ بل سأبقى .

ثم اتجه إلى داخل الفندق فى خطوات ثابتة ، كما لو أنه يعتاد المكان ، على حين كان وجهه غير مألوف على الإطلاق ، بالنسبة للعاملين بالفندق ..

وتوقَّف الشاب فى بهو الفندق الأنيق ، وأدار عينيه فيه فى اهتمام ، قبل أن يهزّ شفتيه ، قائلًا لنفسه :

ــ لا بأس .. إنه مكان جيد .

واتجه إلى قاعة المشروبات ، واتخذ لنفسه مائدة جيِّدة ، تتيح له رؤية المكان كله تقريبًا ، وراح يدير عينيه فيها ، يتفحَّصها فى هدوء ، قبل أن يعود ليحدِّث نفسه ، مغمغمًا :

ــ ستكون هناك تعديلات .. ستكون هناك تبديلات حتمًا .

ثم استرخى فى مقعده ، وراح يتابع كل ما حوله فى هدوء ..

* * *

حدَّقت (زبيدة) فى وجه الأستاذ (مختار) المحامى طويلًا ، واختنق سؤال ملتاع فى حلقها ، قبل أن يخرج من بين شفتى (ليلى) ، التى هتفت فى دهشة :

— ماذا تعنى بأن (منصور) (رحمه الله) ، لم يترك شيئًا ؟

تنحنح (مختار) ، شأن رجل يدرك أنه مقدِم على نقاش مثير ، وحاول أن يسترخى فى مقعده ، وهو يلتقط من عُلبة سجائره سيجارة طويلة ، يدسّها بين شفتيه ، ويشعلها بقدّاحته المذهّبة ، قبل أن يقول :

— العبارة لا تحتمل الكثير من التفسيرات يا سيّدتى ، فهى واضحة للغاية ، فعلى الرغم من أن (منصور حمّاد) قد عاش عمره كله ثريًّا ، إلى حدٍّ ما ، إلا أنه مات لا يملك شَرْوَى نَقِير .

هتفت (زبيدة) فى ارتياع :

— كيف ؟.. والفندق ؟!

تنحنح (مختار) مرّة أخرى ، وقال :

— لقد كتب نصفه للسيّدة زوجته (ليلى شكرى) .

رَانَ الصمت لحظات ، وارتسمت الدهشة على كلٍّ من وجهى (ليلى) و (زبيدة) ، قبل أن تهتف الأخيرة مستنكرة :

— أى هُرَاء هذا ؟.. بل أيّة مهزلة .. إنه لا يملك الحق فى أن يفعل هذا .

ابتسم (مختار) ، وهو يقول :

— بل يملك كل الحق يا سيّدتى ، فالفندق فندقه .

صاحت فى غضب :

— حتى ولو كان كذلك ، لا يمكنه أن يُوصى بنصفه لزوجته ، فهذا يخالف الشرائع ، و .....

قاطعها فى هدوء :

— لم أقُل إنه قد أوصى لها به بعد وفاته ، بل لقد باعها إيّاه فى حياته .

هتفت (ليلى) فى دهشة بالغة :

— باعنى إيّاه ؟

أما (زبيدة) ، فقد احتقن وجهها غضبًا ، وهتفت :

— سأطعن فى هذا البيع ، فهو بيع صورى غير قانونى .

أجابها (مختار) فى بساطة :

— بل هو قانونى مائة فى المائة .

زمجرت فى شراسة ، وهى تقول :

— خطأ .. لقد نسيت أننى أيضًا درست القانون ، وأننى أحمل شهادة الحقوق .. إننى أستطيع إثبات أن البيع صورى ، فهى لم تكن تملك مالًا يكفى لشراء حجرة واحدة بالفندق .

ابتسم الرجل ، وهو يقول :

— بل أنت نسيت أننى محام قدير يا سيّدتى ، وأننى أنا الذى ينفّذ كل رغبات أصحاب هذا الفندق ، السابقين

والخالين ، ولقد كان (منصور حمّاد) (رحمه الله) ، يخشى أن يحدث هذا بعد وفاته ، وأن يشكّك شخص ما ، أو حتى مصلحة الضرائب فى صحة البيع ، فتلتهم ضريبة التركات الفندق ، أو يستولى عليه أشقاؤه ، الذين ضنّوا عليه بكُلية واحدة ، أيام كانت حياته متوقّفة عليها ؛ لذا فقد سألنى أن أجد له وسيلة قانونية ، تمنح زوجته نصف الفندق ، ولقد كان .

اتسعت ابتسامته ، فى زهو رجل يدرك خبرته ، وهو يضيف :

ــ لقد عيّن زوجته مديرة للفندق ، مقابل مبلغ ضخم ، ادخره لها طِيلَة سنة كاملة ، ثم جعلها تبتاع به نصف الفندق ، دون أن تعلم هى نفسها بذلك .

احتقن وجه (زبيدة) ، وهى تهتف :

ــ إنها لخدعة لعينة .. إنه تحايل .

أجابها فى هدوء :

ــ ولكنه قانونى .

اندفعت (ليلى) تسأله فى دهشة ، وقلبها يرتجف انفعالاً :

ــ ولكن كيف ؟.. كيف يحدث كل هذا ، دون أن أدرى به ؟.. من وقّع عقدى العمل والشراء ؟

أجابها فى بساطة :

ــ أنا .. أنسيت أننى أحمل توكيلاً عامًّا منك ، بصفتى محاميك .

هتفت فى ذُهُول :

ــ يا إلٰهى !!.. يا إلٰهى !!

كانت تلهث من فَرْط الانفعال ، غير مصدّقة لما حدث ..

لقد ظَلّ (منصور) سخيًّا معها ..

ظلّ كذلك ، حتى بعد وفاته ..

يا له من رجل !..

صحيح أنها لم تمنحه يومًا ذلك الحب ، الذى ادّخرته فى قلبها لفارس أحلامها ، ولكنها كانت دومًا مخلصة له ، أمينة على نفسه .. منحته كل حنانها ورعايتها ، وخاصة فى أيامه الأخيرة ، عندما تحوّل إلى شبح هزيل ، من جَرّاء إصابة كُليتيه بالفشل ..

لقد منحته احترامها وحنانها ، بديلاً عن حبها ..

ولقد منحها المقابل ..

منحها الأمان إلى الأبد ..

وبصوت يحمل رنّة الامتنان ، غمغمت :

ــ أفعل (منصور) هذا ؟!

ترقرقت فى عينيها دمعة عرفان ، جعلت (زبيدة) تهبُّ من مقعدها ، كما لو أن عقربًا قد لدغها بغتة ، وراحت تهتف :

ـــ لقد كان شقيقى أحمق .. أحمق فاشلًا غبيًّا .

عقد (مختار) حاجبيه فى ضيق ، وهو يقول :

ـــ اذكروا محاسن موتاكم .

لوَّحت بذراعها ، وهى تهتف فى حَنَق :

ـــ محاسن ؟!.. أيَّة محاسن ؟! وهل ترك ذلك المأفون حسنة واحدة ، نذكره بها ؟!.. إنه عارٌ علينا منذ القِدم .. لقد تجاهل كل نصائحنا ، وتزوَّج هذه الدُّمية ، و .....

هبَّت (ليلى) صائحة فى غضب :

ـــ لست أسمح لك .

صرخت (زبيدة) فى ثورة :

ـــ ومن سألك السماح ؟

ثم أشارت إلى صدرها ، مستطردة فى غضب :

ـــ ولا تنسى أننا شريكان هنا .

رفع الأستاذ (مختار) حاجبيه ، وهو يتساءل :

ـــ شريكان ؟!

التفتت إليه (زبيدة) ، قائلة فى شراسة :

ـــ نعم شريكان .. أقصد شريكتان لو أنك تعترض على

المنطوق اللغوى ، أما ما عدا ذلك ، فلن يمكنك الاعتراض عليه ، فحتى لو منحها أخى نصف الفندق ، بهذا الأسلوب الملتوى ، فسيتبقى النصف الآخر ، وسترث هى نصيبها الشرعى منه بالطبع ، ولكن الباقى سيعود إلىَّ ، وإلى شقيقىَّ ، وسنصبح جميعًا شركاء ، و .....

قاطعها مبتسمًا ، فى لهجة حملت صبْغة شماتة :

ـــ أخطأت يا سيِّدتى .

عقدت حاجبيها ، ونفثت دُخان سيجارتها فى عصبيَّة ، وهى تهتف :

ـــ بل أخطأت أنت ، فهذا هو النص القانونى .

بدت لهجته أكثر شماتة وخبثًا ، وهو يقول :

ـــ هذا لو أنه يملك النصف الآخر .

انتفض جسد (ليلى) فى عُنف ، عند هذا الجزء بالذات ، وصاحت فى هلع :

ـــ ماذا تعنى ؟ إنه يمتلكه حتمًا .

مطَّ الرجل شفتيه لحظة ، وقال :

ـــ ليس بعد .

احتقن وجه (زبيدة) ، وهى تهتف :

ـــ أهِىَ خُدعَة قانونيَّة أخرى ؟.. لا .. لن أسمح لك هذه المرَّة .. لن .....

قاطعها فى حزم :

ــ كفى يا سيّدتى .. ثورتك السخيفة هذه لن تغيّر من الأمر شيئًا ، فهو واقع قانونى .

صاحت (ليلى) ملتاعة :

ــ ولكن كيف ؟

أجابها وقد غلبه انفعاله :

ــ لقد باع النصف الآخر .. باعه منذ ثلاثة شهور فحسب ، ليدفع تكاليف علاجه الباهظة ، وليسدّد ما تبقى من فوائد وقرض البنك .. لقد أراد لك ألا تتكبّدى شيئًا بعد وفاته .

اتسعت عينا (ليلى) فى ذهول ، وانهارت فوق مقعدها ، مردّدة:

ــ باعه ؟!.. لماذا ؟.. لقد أخبرنى أنه قد سدّد باقى القرض بفائض الأرباح !.. لماذا ؟

تجمّد مزيج من الغضب والذهول على وجه (زبيدة) ، فى حين هزّ المحامى رأسه فى أسى وأسف ، وهو يقول :

ــ لقد كان (رحمه الله) رجلًا عظيمًا .. وكان يحبك حبًا جارفًا يا سيّدة (ليلى) ، حتى أنه لم يشأ أن يبلغك بأمر البيع ، فلقد باع نصف الفندق بمبلغ لا يساوى القيمة الحقيقية له ؛ لأنه

كان يحتاج إلى المال بصورة عاجلة ، ولأن الأزمة الاقتصادية الحالية لم تسمح له بالحصول على أكثر من ذلك ، بل لم تكن تمنحه مشتريًا أفضل ، ولقد استغلّ المبلغ كله لتسديد ما تبقّى من قرض البنك ، ولبناء تلك القاعة الإضافية بالفندق ، وللعلاج من الفشل الكُلوى ، ولكن القدر لم يمهله لإخبارك بذلك .

راحت (ليلى) تردّد فى ألم :

ــ لماذا يا (منصور) !.. لماذا ؟

أما (زبيدة) ، فقد بقيت ذاهلة لحظات ، ثم هبّت من مقعدها ، واختطفت حقيبتها ، وهى تقول فى حدّة :

ــ لم ينته الأمر عند هذا الحدّ .. ولن ينتهى .

واندفعت تغادر الحجرة فى عنف وغضب ، وأغلقت الباب خلفها فى قوة ، فغمغم (مختار) :

ــ يا لها من سيّدة سخيفة !

رفعت (ليلى) إليه عينين دامعتين ، وهى تقول :

ــ ولكن كيف يتخلى (منصور) عن نصف كفاحنا هكذا؟!

هزّ المحامى كتفيه ، وتنهّد قائلًا :

ــ لقد تصوّر أنه ما من حلّ بديل .

ثم نهض مستطردًا :

— ولقد كان من الضرورى أن أبلغك بالأمر اليوم ، على الرغم من أنه لم يمض بعد شهر واحد على وفاة زوجك ، لأن المشترى يودّ تسلُّم حقه الآن .

انتفض جسدها فى قوة ، وخفق قلبها ، وهى تهتف :

— الآن ؟! ؟!

أومأ برأسه فى أسف ، وهو يغمغم :

— لقد حاولت إقناعه بالانتظار ، ولكنه رفض، و.....

قاطعته فى مرارة :

— إنه حقه .

تنهّد المحامى مرّة أخرى ، وقال :

— نعم .. إنه حقّه .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت طرقات على الباب ، فرفعت رأسها تقول فى ضيق :

— من الطارق ؟

فوجئت بشاب يدفع الباب ، ويقف أمامها هادئًا ، قبل أن يخلع منظاره الداكن ، ويقول فى هدوء :

— أنا (عادل) .. (عادل رمزى) .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة ، وهو يستطرد :

— شريكك الجديد ..

* * *

٣ ــ الصّراع ..

كان من حقّها أن تصاب بالدهشة ، فشريكها الجديد هذا كان شابًا فى منتصف العشرينات على الأكثر ، وسيم الملامح ، جميل الطلعة ، يبدو من تصفيفة شعره اللامع ، وأناقة حُلّته الغالية الثمن ، أنه من ذلك النوع الواثق من نفسه كثيرًا ، الذى وُلد وفى فمه ملعقة من ذهب ، حتى أنها شعرت ببعض الحَنَق ، وهى تتطلّع إليه ، قبل أن تقول فى حدّة :

— شريكى الجديد ؟!

ابتسم (عادل) ، وهو يقول :

— نعم .. شريكك .. سَرعان ما تعتادين ذلك .

واتجه إليها فى هدوء ، وهو يغلق باب الحجرة خلفه ، ومدّ يده ليصافحها ، قائلًا :

— أنت السيّدة (ليلى) .. أليس كذلك ؟

تجاهلت يده الممدودة إليها ، وهى تقول فى صرامة :

— بلى .. أنا هى .

ابتسم على نحو جامد ، قبل أن يحيد يده بعيدًا ، ثم يشير إلى المكتب الذى يتوسَّط واجهة الحجرة ، قائلًا :

ـ أهذا مكتب المدير ؟

عقدت حاجبيها ، دون أن تنبس ببِنْتِ شَفَة ، فأجاب المحامى :

ـ نعم .. إنه هو .

اتجه فى بساطة إلى المكتب ، وجلس خلفه ، ومطَّ شفتيه ، وهو يتطلَّع إلى الملفات العديدة المنتشرة فوقه ، وقال :

ـ لا بأس .. كل شىء هنا يحتاج إلى التعديل .. كنت أتوقَّع ذلك .

عقدت (ليلى) حاجبيها فى صرامة ، وهى تقول :

ـ إنك تجلس على مكتبى .

تألَّقت عيناه ببريق عابث ، وهو يقول فى سُخرية :

ـ مكتبك ؟!

ثم استرخى فى مقعده ، وشبَّك أصابع كفَّيه أمام وجهه ، مستطردًا :

ـ كنت أظنّه مكتب المدير .

قالت فى حِدَّة :

ـ وهو كذلك .. إنه مكتب المدير ؛ لذا فهو مكتبى .

اعتدل فى حركة حادَّة ، واستند إلى سطح المكتب بمرفقيه ، قائلًا فى حزم ، لم يَخْلُ من تلك اللهجة العابثة :

ـ وماذا يمنع من كَوْنِهِ مكتبى ؟

هتفت فى غضب :

ـ لأننى أنا مدير الفندق .

هزَّ كتفيه ، وابتسم فى خُبْث ، قائلًا :

ـ من أصدر هذا القرار ؟

اعتدلت لتواجهه بجسدها كله ، وهى تقول فى حِدَّة :

ـ اسمع يا فتى .. إننى أعرف أمثالك .

ارتفع حاجباه فى حركة ساخرة ، وهو يقول :

ـ أحقًّا ؟

نطقها وكأنه يهمُّ بالضحك ، مما أثار أعصابها ، فهتفت مُخْتَنَقة :

ـ نعم .. حقًّا .. إننى أعرفك .. شاب مدلَّل ، وُلِد فى أسْرَة ثرية ، لم تعتد الكفاح والقتال ، وورث ثروة ضخمة ، جعلته مستهترًا بكل القيم ، ثم لاحت له فرصة مثالية ، ليحصل على نصف فندق فاخر ، مقابل مبلغ بسيط ، وهو يتصوَّر أنها فرصة لإثبات تفوُّقه ، وللسيطرة على الآخرين .

أجابها فى هدوء :

— لقد دفعت مليونين من الجنيهات ، مقابل نصف هذا الفندق .

هتفت فى سُخط :

— مليونين ؟! إن هذا الفندق يساوى عشرة ملايين على الأقل .

هزَّ كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول :

— وما شأنى أنا ؟ . لقد دفعت ما طلبه مالكه ، وحصلت على نصف الفندق بعقد بيع رسمىّ ومسجَّل .

تمتم المحامى :

— هذا صحيح .

رفع (عادل) عينيه إليه ، وكأنما لم يلحظ وجوده إلا فى هذه اللحظة ، وسأله :

— أنت محامى الفندق .. أليس كذلك ؟

هزَّ (مختار) رأسه إيجابًا ، وغمغم :

— بلى .

قال (عادل) فى هدوء :

— لقد كنت حاضرًا ، عندما وقَّعنا عقد بيع نصف الفندق .. أخبرها إذن أنه بيع صحيح .

غمغم (مختار) :

— لقد أخبرتها .

هتف (عادل) :

— رائع .

ثم التفت إلى (ليلى) ، مستطردًا :

— إذن فأنت تعلمين الآن أننى أمتلك نصف الفندق .

قالت فى غضب :

— نعم .. أعلم .. وأعلم أن أمثالك لا يحبُّون بذل الجهد فى العمل ؛ لذا فسأقترح عليك اقتراحًا .

عاد يشبِّك أصابع كفَّيه أمام وجهه ، قائلًا :

— حسنًا .. كُلّى آذان صاغية .

ازدردت لُعابها الجافّ ، وقالت :

— كم تتوقَّع من هذا الفندق ؟

ابتسم مجيبًا :

— ما يفوق عائد استثمار مليونى جنيه فى البنك .

قالت فى حدَّة :

— اجلس فى منزلك إذن ، ودَعْنى أُدِر الفنـــدق ، وستحصل على نصف إيراده شهريًّا ..

ابتسم قائلًا :

— وهل سيبلغ العائد نفس النسبة ؟

هتفت فى حَنَق :

ـــ لا بالطبع ، ولكن هذا هو الاستثمار الذى اخترته لنفسك .

هزَّ كتفيه ، قائلًا :

ـــ فى هذه الحالة أجد نفسى مضطرًا للبقاء ، فى محاولة لرفع عائد الفندق ، حتى يبلغ ما أسعى إليه .

صاحت غاضبة :

ـــ ومن سيسمح لك ؟

أجابها فى بساطة :

ـــ لا أحد يملك حقّ هذا .

عاد (مختار) يغمغم :

ـــ هذا صحيح .

رمقت هى (مختار) بنظرة غاضبة ، وهتفت :

ـــ لأى من الجانبين تعمل يا أستاذ (مختار) ؟

أجابها المحامى فى هدوء :

ـــ لكما معًا ، فأنا محامى الفندق ، وأنتما شريكان فيه مناصفة ، ولا أحد منكما يملك ما يفوق الآخر .

هتفت ساخطة :

ـــ ماذا تعنى ؟

أجابها (عادل) فى هدوء :

يَعْنى بكل بساطة أنك لا تملكين حقّ اتخاذ أى قرار هنا ، دون الرجوع إلىّ .

اتسعت عيناها فى ذُعر لحظات ، ثم قالت فى حدّة :

ـــ هذا ينطبق عليك أيضًا .

ابتسم فى خُبْث ، وهزّ كتفيه ، قائلًا :

ـــ إلى حدّ ما .

ازدردت لُعَابها مرّة أخرى ، وحاولت أن تحتوى الموقف ، وهى تقول :

ـــ المركب ذات القائدين تغرق .

أجابها فى بساطة :

ـــ اتركيها إذن .

انعقد حاجباها ، وهى تهتف :

ـــ هل تجرؤ .....؟

قاطعها المحامى :

ـــ لحظة يا سيِّدتى .. لن تسير الأمور على هذا النحو .

صرخت فى ثورة :

ـــ هل ستؤيِّده ؟

أجابها محاولًا تهدئتها :

ـــ لن أؤيده بالطبع .

ثم استدرك فى سرعة :
— ولن أؤيدك أيضًا .
قالت غاضبة :
— هل ستترك العمل ؟
ابتسم قائلًا :
— لا .. ولكننى أردت أن أوضّح لك حقيقة واقعية ، ألا وهى أنك والسيّد (عادل) تملكان الفندق مناصفة ، وهذا يَعْنِى أن حقّ اتخاذ القرار ينقسم بينكما مناصفة أيضًا ، والصراع حول هذا الحقّ لن يؤدى إلا إلى دمار الفندق .
قالت فى عناد .
لن أتخلّى عن الإدارة .
أجابها (عادل) فى بُرُود :
— ولا أنا .
أسرع المحامى يتدخّل قائلًا :
— ولكن لابدّ من وجود حل ، وإلا خسرتما كل شىء
التفتا إليه معًا ، وسأله (عادل) :
— ماذا تقترح ؟
تنحنح المحامى ، وقال :
— أقترح أن تجتازا اختبارًا .

عقد (عادل) حاجبيه ، وكأنما يحاول استيعاب العبارة ، على حين غمغمت (ليلى) فى عصبيّة :
— أى اختبار هذا ؟
تنحنح المحامى مرّة أخرى ، وقال :
— اختبار إدارة .. سيتولّى كل منكما إدارة الفندق شهرًا وسألعب أنا دور الحكم ، وسنرى من منكما يحقّق نجاحًا أكثر ، فى الفترة التى يتولّى فيها الإدارة ، وبعدها سيفوز أحدكما بالمنصب .
تألّق ذلك البريق العابث مرّة أخرى ، فى عينى (عادل) ، وهو يسترخِى فى مقعده ، ويبتسم قائلًا :
— فكرة طريفة .
أما (ليلى) ، فقد تردّدت لحظة ، ثم قالت فى حدّة :
— لن أُعلّق مستقبل الفندق على اختبار سخيف كهذا .
قال (عادل) فى سُخْرِية :
— ألا تثقين فى قدرتك على الإدارة ؟
صاحت مُخْتَنقة :
— بل لا أثق فى نزاهتك .
أسرع المحامى يتدخّل مرّة أخرى ، قائلًا :

— مهلًا .. إنكما شريكان ، ولن نصل إلى حلّ للمشكلة ، إلا بهذه الوسيلة .

تطلّعت إليه (ليلى) فى حَيْرَة ، ثم غمغمت فى توتُّر :

— حسنًا .. إننى أقبل .

ثم أضافت فى جِدّة :

— ولكن مَن يبدأ .

أجابها (عادل) فى حزم :

— الرجال قوّامون على النساء .. سأبدأ أنا .

وبدأ الصّراع ..

* * *



٤ ـ المدير ..

لم تشعر (ليلى) فى حياتها كلها بمثل ذلك الحنَق ، الذى شعرت به فى هذه الليلة ، بعد أن انتزع منها (عادل) إدارة الفندق لشهر كامل ..

لقد شعرت وكأن أحدًا قد انتزع منها وليدها ..

نعم .. كان الفندق ـ بالنسبة إليها ـ بمثابة ابن لها ..

لقد بذلت كل جهدها من أجله ..

أرضعته تعبها وَكدَّها ..

شاهدته ينمو أمام عينيها ..

صنعت منه صرحًا سياحيًّا عملاقًا ..

وفجأة ، جاء من ينتزعه منها ..

لماذا يا (منصور) ؟

لماذا فعلت بها هذا ؟..

طفرت الدموع من عينيها ، وهى ترقد على فراشها ، فى شقتها الخالية ..

وراحت تبكى فى حرارة ..

ومع دموعها ، انسكبت آلامها وعذابات نفسها ..

لقد كان الفندق هو آخر ما تبقَّى لها ..

لقد استبدلته بأسرتها وعائلتها ، بعد أن تخلَّى والدها عن فقره ، وصار ثريًا ، ينفق على أسرته عن سَعَة ..

استبدلته بعالمها الخيالى ..

حاولت أن تجعل منه همزة الوصل ، بين خيالها وواقعها ..

ولقد نجحت ..

نجحت أو كادت تنجح ، لولا مرض (منصور) ، ووفاته ..

ولولا بيعه لنصف الفندق ..

ولمن باعه ؟..

لشاب يبلغ السادسة والعشرين من عمره ، ويرتدى ثيابًا فاخرة ، ويتعامل مع كل من حوله على نحو أشبه بالأمراء والأباطرة ..

يا لسخافة الحياة !..

حقًّا .. إن بقاء الحال لمن المحال ..

ولكن هل سينجح (عادل) فى إدارة الفندق ؟!..

خفَق قلبها فى عنف ، عندما جال ذلك الخاطر فى رأسها ، وراحت مخاوفها تصوِّر لها أشباحًا وهمية مرعبة ..

رأته فى خيالها يعامل النزلاء فى غطرسة ، ويعامل العاملين فى سخافة ، فلا يحتمله هؤلاء أو أولئك ..

رأته يُفسِد كل الأمور بوقاحة وعناد ..

رأت سمعة فندقها تنهار ..

شاهدت بعين الخيال كل النزلاء ينصرفون ، ويتركون خلفهم فندقًا خاويًا خاليًا ، انتشرت فيه شبكات العناكب ، وعادت إليه الجُرْذان ، و .....

وانتفضت جالسة على فراشها ..

لا ..

لن تسمح له بذلك ..

لن تجعله يُفسِد عملها أبدًا ..

قفزت من فراشها لترتدى ثيابها ، وتعود إلى الفندق ، ثم لم تلبث أن توقَّفت فى حَنَق ..

إنها لا تملك حقَّ منعه الآن ..

لقد أصبح مديرًا للفندق ، لمدة شهر كامل ..

وذلك المحامى اللعين وضع عقدًا بذلك ..

عَقْدًا يحرمها حقَّها فى إدارة الفندق لمدة شهر ..

عادت إلى فراشها مُحْنَقَة ، وبذلت أقصى جهدها لتسقط نائمة ..

ولكن هيهات ..
كان الأمر يقلقها فى شدة ..
ثم إنها لا تعرف شيئًا عن (عادل) هذا ..
لا تعرف حتى من أين أتى بالنقود ..
ألا يحتمل أنه لص مثلًا ؟..
أو تاجر مخدرات ؟!
أو أحد المتلاعبين بالعملات ؟!..
لماذا افترضت أنه وارث ثرى ؟..
لماذا لم تفترض أى شىء آخر ؟..
ألمجرد أنه وسيم ، جميل المحيا ؟!..
لا .. لن تقنع بهذا ..
ستسعى لجمع المعلومات عنه ..
ستحاول معرفة كل شىء ، عن الرجل الذى أصبح شريكها ..
كل شىء ..
زادها ذلك الخاطر توترًا ، فراحت تتقلب فى فراشها طيلة الليل ، حتى أنها لم تكد تلمح أول شعاع من أشعة الشمس ، وهو يتسلل إلى حجرتها ، حتى غادرت فراشها ، وارتدت ثيابها ، وانطلقت تستقل سيارتها إلى الفندق ..

كانت تتلهف للوصول إليه ، قبل أن يبدأ (عادل) عمله .
وكانت واثقة من أنه ما يزال مستغرقًا فى النوم ..
ولكنها كانت مخطئة ..
لقد أدهشها أن تجده مستيقظًا ، مُفعَمًا بالهمَّة والنشاط ، على الرغم من أن عقارب الساعة لم تكن قد بلغت السادسة بعد ، فتحركت سيارتها فى موقف الانتظار التابع للفندق ، واتجهت إليه ، قائلة فى ضيق عصبىّ :
عجبًا !!.. كيف استيقظت مبكرًا هكذا ؟
التفت إليها فى هدوء ، قائلًا :
ــ إننى لم أستيقظ بعد .
قالت فى حَنَق :
ــ هل اعتدت السُخرية من كل شىء ؟
هزَّ رأسه نفيًا ، وقال فى هدوء :
ــ لا .. ولكنها الحقيقة ، فأنا لم أستيقظ بعد ؛ لأننى ــ وبكل بساطة ــ لَمْ أنَمْ بعد .
هتفت فى دهشة :
ــ لَمْ تَنَمْ ؟
أجاب فى بساطة :
ــ نعم .. فلا وقت للنوم .

ابتسمت فى سُخرية ، وهى تقول :
ــ هل يرُوق لك دومًا لَعِب دور الفارس ؟.
ابتسم فى سُخرية مماثلة ، وهو يقول :
ــ نعم .. عندما أجد أميرة جميلة ، يروق لها أن تلعب دور المدير العام .
قالت فى صرامة :
ــ اسمع .. صحيح أنك شريكى ، ولكن هذا لا يمنحك الحقّ فى أن تتحدَّث إلى بهذا الأسلوب .
سألها فى سُخرية :
ــ أى أسلوب ؟
قالت فى عصبيّة :
ــ ذلك الأسلوب الساخر .
التفت إليها ، ورمقها بنظرة طويلة ، قبل أن يقول فى برود :
ــ وهل تملكين أنت هذا الحق وحدك ؟
صمتت لحظة ، وهى تتطلَّع إلى عينيه السَّوداوين ، قبل أن تطرق بوجهها ، مغمغمة :
ــ لا ..
أشاح بوجهه عنها ، وهو يقول :

ــ عظيم فلنُوقف تلك الحرب الباردة إذن ، فالتعديلات المطلوبة فى الفندق تحتاج إلى كل الوقت والجهد .
انتفضت ، وهى تهتف :
ــ تعديلات ؟!
أجابها فى بساطة وهدوء :
ــ نعم .. لقد انصرف المهندسون منذ لحظات فحسب ، وسيقومون بإعداد التصميمات اللازمة بأقصى سرعة ممكنة ، فالموسم على الأبواب ، ومن الضرورى أن تتم كل التعديلات خلال ثلاثة شهور فحسب .
تطلَّعت إليه فى حَيْرَة ، ثم عادت تهتف مستنكرة :
ــ أيَّة تعديلات ؟.. ما الذى ستفعله فى فندق ؟
أجاب فى هدوء :
ــ فندقنا .. لا تنسَىْ ذلك .
صاحت مُختَنِقَة :
ــ ما الذى ستفعله به ؟
هزَّ كتفيه ، قائلًا :
ــ بضع تعديلات واجبة .. سأزيل حائط المطعم ، المطلّ على الحديقة ، وأصنع بدلًا منه واجهة زجاجية كاملة ، بحيث يطلّ النزلاء على حديقة الفندق ، وهم يتناولون طعامهم ،

وسأضيف هنا حديقة للأطفال ، وسألغى واحدة من قاعات الزفاف ، وأصنع منها دار سينما خاصة بالفندق ، و .....

استمعت إليه فى ذُهول ، قبل أن تقاطعه هاتفة :

ــ ومن سيسمح لك بهذا ؟

التفت إليها مرّة أخرى ، وقال فى صرامة :

لا أحد ، لأنه لا أحد يملك هذا الحقّ .

صاحت فى ثورة :

ــ بل أنا أملكه .

ابتسم قائلًا فى سُخرية :

ــ ليس قبل شهر كامل .

شحُب وجهها ، وتراجعت هاتفة :

ــ إذن فهذه هى الخطة .

رمقها بنظرة جانبية ، قبل أن يقول :

ــ أمِنَ الضرورى أنٍ يكــون كل شىء ــ بالنسبــة لمنظورك ــ عبارة عن خطط ومخططات ؟

قالت فى حدّة :

ــ هذا ما يبدو .

سألها بغتة فى صرامة :

ــ لماذا ؟

ارتجف جسدها لصرامته المباغتة ، وارتبكت وهى تغمغم :

ــ لماذا ماذا ؟

سألها فى حزم :

ــ لماذا يبدو لك الأمر كمخطَّط ؟

كان سؤاله مربكًا فى الواقع ، حتى أنها لم تجد جوابًا منطقيًّا له ، مما أخرسها لحظات ، وهى تحدّق فى عينيه السوداوين ، قبل أن تقول فى عصبيّة :

ــ إنك تهدم كل شىء .

قال فى صرامة :

ــ أهدم ؟!.. يا له من قول !.. إننى أبنى يا سيِّدتى .. أضيف إلى الفندق جديدًا ، فهل يبدو لك ذلك نوعًا من الهدم؟

ارتبكت مرّة أخرى ، وقد بدا لها قوله منطقيًّا ، إلا أن عنادها أبى عليها أن تعترف بذلك ، فغمغمت :

ــ لا توجد نقود لكل هذا .

قال فى حزم :

ــ النقود ليست مشكلة ، فما زلت أملك بعض السيولة النقدية ، ويمكننى أن أقرضها للفندق دون فوائد ، فهو فندق على أيّة حال .

غمغمت فى اعتراض متخاذل :

ــ كان ينبغى أن تنتظر ، حتى أربعين المرحوم على الأقل .

مطَّ شفتيه ، قائلًا :

ــ العمل لن ينتظر ، ثم إن الأربعين هذا عادة فرعونية ، وليس من المنطقى أن نتشبَّث بعادات وثنيَّة .

هزمها منطقه ، فزفرت فى حَنق واستسلام ، وهى تقول :

ــ حسنًا .. افعل ما بدا لك .

بدا عليه الارتياح ، وهو يتطلَّع إليها ، ثم سألها بغتة :

ــ كم تبلغين من العمر ؟

أربكها سؤاله ، وأربكتها نظراته الفاحصة ، فقالت متوتِّرة :

ــ أهذا سؤال يصلح للإلقاء على امرأة ؟

ابتسم فى حرج ، وهو يغمغم :

ــ صدقت .

ثم أشاح بوجهه عنها ، مستطردًا فى حزم :

ــ أظن أنه من الأفضل أن تعودى إلى منزلك ، فمن الواضح أنك تحتاجين إلى قسط من النوم .

عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى غضب :

ــ هل تطردنى من فندق ؟

ران عليهما الصمت لحظة ، قبل أن يقول فى لهجة جافة :

ــ لست أملك ذلك الحق .

ثم التفت إليها ، ولان صوته بغتة ، وذهبت لهجته الجافة ، وهو يستطرد :

ــ إننى أشفق عليك فحسب .

هزَّتها العبارة حتى النخاع ..

يُشفق عليها ؟!..

أهذا هو شعوره ناحيتها حقًّا ؟!

تطلَّعت إليه فى حَيْرَة ، وكأنها تناشده إعادة العبارة على مسامعها ، فغمغم :

ــ وهذا ليس مخطَّطًا .

ثم تنحنح ، واعتدل مستطردًا :

ــ هيَّا .. اذهبى .

قالها فى لهجة واضحة للغاية ، وبصوت آمر ، جعلها تغمغم مستسلمة :

ــ سأذهب .

ودون أن تضيف حرفًا آخر ..

ودون حتى أن يتصافحا .. انصرفت ..

انصرفت عائدة إلى منزلها الخالى ، وقد زال كل التوتُّر من نفسها ..

والعجيب أنها — وعلى الرغم من انبلاج الصباح — استسلمت للنوم ..

لنوم عميق ..

* * *



٥ — على قدم وَسَاق ..

سار العمل بسرعة عجيبة ، فى الأجزاء التى قرَّر (عادل) تعديلها ، وراحت (ليل) تتابع ما يحدث فى انبهار ودهشة ، وانمحت من ذهنها تمامًا فكرة الثرى المدلَّل ، التى رسمتها فى ذهنها لـ (عادل) ، عند أوَّل لقاء لهما ..

لقد كان حقًّا ثريًّا ، ولكنه لم يكن مدلَّلًا أبدًا ..

لقد كان — على الرغم من اهتمامه المبالغ بأناقته — قوى الشكيمة ، صعب المراس ، يمتلك قدرة نادرة على مواصلة العمل والاستيقاظ لأيام طوال ..

وكان يمتلك ناصية مشاعره تمامًا ، فهو شديد التهذيب وقتما يحلو له ، عنيف قاس صلب وقتما تقتضى الحاجة ..

وبسرعة أزيل حائط المطعم ، وصُنِعَ بدلًا منه ذلك الجدار الزجاجى الأنيق ، ومنح (عادل) البستانى علاوة سخيَّة ، فى مقابل زراعة عدد من أحواض الزهور ، مختلفة الأشكال والألوان ، أمام الجدار الزجاجى ، بحيث نال مطعم الفندق

شهرة واسعة ؛ لكوْنه يطلّ على البحر من ناحية ، وعلى حديقة غنّاء من الناحية الأخرى ، وأثنى النزلاء على ذلك التعديل كثيرًا ، مما أراح (ليلى) ، وجعلها تثق بآراء (عادل) ..

ولكن (عادل) نفسه لم يُبد اهتمامًا ..

لقد اكتفى بابتسامة واثقة ، عندما أبلغته بثناء النزلاء ، ثم لم يلبث أن عاد إلى العمل ، وكأنما لم يخلق إلا من أجله ..

ولقد حيّرتها شخصيته كثيرًا ..

لقد بدا لها كما لو أنه كان يبحث طِيلة عمره عن مجال يُفرغ فيه طاقات هائلة ، تموج بها عروقه ، أو .....

أو أنه يحاول أن ينسى أمرًا ما ..

نعم ..

كان يبدو أحيانًا وكأنه يسعى إلى نسيان شيء ما ، بالانغماس فى العمل حتى النخاع ..

وخاصة عندما يجلس وحده ..

لقد كان العمل يُرهقه أحيانًا ، حتى أنه لا يجد أمامه سوى الجلوس ، ومراقبة العمّال فى إرهاق ، وعندما يحدث ذلك كانت عيناه تحملان حزنًا عميقًا ..

لقد لاحظت ذلك كثيرًا ..

لاحظته على الرغم منها ..

لقد اعتادت أن ترى ذلك البريق العابث فى عينيه طِيلة الوقت ، حتى أن مجرّد اختفائه كان يدهشها ..

ثم لاحظت ذلك الحزن ..

بل رأته يطلّ من عينيه واضحا جليًا ..

وكان ذلك يوم بدأت حديقة الأطفال عملها ..

لقد جلس يتطلّع إلى أطفال النزلاء ، وهم يلهون وسط الحديقة ، ويتأرجحون ، وضحكاتهم تتصاعد فى سعادة ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة حانية ، لم تلبث أن حملت حزنًا يفوق الوصف ، حتى كادت هى تبكى من أجله ، وتربّت على كتفيه مُشفقة متعاطفة ..

يومها انتبهت إلى أنها تجهل كل شيء عنه ..

إنها لا تعرف سوى اسمه ..

ولا شيء آخر ..

كل ما تعلمه هو أن اسمه (عادل رمزى) ، وأنه شريكها .. فقط ..

وراح فُضولها يتصاعد تدريجيًا ، وهى ترقب انهماكه فى العمل ، حتى لم تَعُد تحتمل ..

وذات يوم ، وبعد أن غلبها فُضولها ، وقفز إلى ذِرْوَة احتمالها ، سألته ..

سألته فى تردُّد :

ــ أستاذ (عادل) .. لِمَ تبْدُو أحيانًا ، وكأنك تحمل على كتفيك حزن الدنيا كلها ؟

انعقد حاجباه بغتة ، وكأنما لم يرُق له السؤال ، وبدا الضّيق فى ملامحه ، حتى أنها شعرت بالحرج لإلقائها السؤال ، ولكنها فوجئت بملامحه تلين ، وهو يقول بابتسامة باهتة :

ــ ولِمَ تبدين أنت وكأنك تحملين قلق الدنيا كلها على كتفيك ؟

أدركت على الفور أنه يتهرَّب من سؤالها ، فغمغمت :

ــ معذرة للسؤال .

أجابها فى هدوء :

ــ لا عليك .

رَان عليهما الصمت طويلًا ، ثم وجدت فى نفسها الجُرأة ، لتسأله :

ــ ألا تجد الموقف كله عجيبًا ؟

التفت إليها وعيناه تحملان نظرة تساؤل ، قبل أن يغمغم :

ــ أى موقف ؟

قالت فى ضيق :

ــ موقفنا .

تضاعفت نظرة التساؤل فى عينيه ، فأضافت فى عصبيَّة :

ــ إننا شريكان ، وأنت تتولَّى الإدارة منذ ما يقرب من شهر ، دون أن يعرف أحدنا عن الآخر أكثر من اسمه .

رَانَ الصمت لحظة ، ثم قال هو فى هدوء شديد :

ــ خطأ ..

تطلَّعت إليه فى دهشة ، وهى تقول :

ــ أى خطإ هذا ؟

ظَلَّ صامتًا لحظة أخرى ، ثم قال :

ــ أنا أعرف عنك كل شىء .

اتسعت عيناها بمزيد من الدهشة ، وغمغمت :

ــ كل شىء ؟

أضاف فى هدوء :

ــ تقريبًا .

انعقد حاجباها ، وهى تتطلَّع إليه فى شكّ ، فابتسم ابتسامة باهتة ، وأضاف :

ــ اسمك (ليلى عبد الحميد شكرى) ، فى التاسعة والعشرين من عمرك ، حاصلة على الشهادة الإعدادية ، تزوَّجت (منصور حمَّاد) منذ عشر سنوات ، عندما كنت فى التاسعة عشرة من عمرك ، وأنت السبب فى تحويل الفندق إلى هذا الذى وصل إليه ، و .....

قاطعته ذاهلة :

ــ كيف عرفت عنّى كل هذا ؟

ابتسم قائلًا :

ــ إننى لم أقُل كل ما لدىّ بعد ، فأنا أعلم أنك قد نشأت فى أسرة فقيرة ، تبدّلت أحوالها بعد زواجك من (منصور) ، وسافر والدك ليعمل فى (أبو ظبى) منذ تسع سنوات ، ومازال يعمل فيها حتى اليوم ، و ......

قاطعته مرّة أخرى ، وقد غلب غضبها دهشتها :

ــ كيف عرفت كل هذا ؟

تنهّد فى عمق وقال :

ــ لم يكن الحصول على هذه المعلومات بالأمر العسير ، فأنت صاحبة الفندق ، وتقيمين فى الإسكندرية طِيلَة عمرك .

قالت فى حِدّة :

ــ ولماذا تسعى للحصول على هذه المعلومات ؟

شَرَد ببصره لحظات ، قبل أن يقول :

ــ إنها طبيعتى .. إننى أحب دوْمًا أن أعرف كل شىء عن الذين أحـ .....

بتر عبارته بغتة ، ثم عقد حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول مستطردًا :

ــ عن الذين أحترمهم ، أو أعمل معهم .

كان من المفروض أن تسعدها عبارته ، إلا أنها فى الواقع أقلقتها .. أقلقتها ؛ لأنها أدركت على الفور أنه لم يكن يقصد ما قاله بالفعل ..

ولكنها لم تدرك ما الذى كان يقصده ..

أو أنها خشيت أن تدركه ..

ولقد جعلها ذلك تصمت طويلًا ، وهى تتطلّع إليه فى قلق وحَيْرَة ، ثم تسأله فى خُفُوت يحمل رنّة توتُّر :

ــ وماذا عنك ؟

التفت إليها ، مغمغمًا :

ــ ماذا ؟

ارتفع صوتها ، وهى تقول فى عصبية :

ــ أقول ماذا عنك أنت ؟.. إنك تعرف عنّى كل شىء ، ولكننى لا أعرف عنك شيئًا !

أشاح بوجهه عنها ، وبقى صامتًا لحظات ، ثم قال :

ــ هذا أفضل .

سألته فى حدّة :

ــ لمن ؟

أجاب فى خُفُوت :

ــ للجميع .

مرّة أخرى تصاعدت فى رأسها أفكارها العجيبة ..
ما الذى تعنيه عبارته ؟..
لماذا يرفض إخبارها بماضيه ؟..
ما الذى يخفيه ؟..
أهو حقًا لصّ ، أو تاجر مخدرات ، كما تصوّرت ؟..
هل حصل على ثروته بأسلوب مخالف للقانون ؟
من هو حقًا ؟
من ؟!..
وكيف تحصل على المعلومات اللازمة عنه ؟
وفجأة ، برقت فى ذهنها فكرة ..
الأستاذ (مختار) المحامى ..
إنه يعرف عنه كل شىء حتمًا ..
ولم تُطِق صَبْرًا ، وهى تنطلق على الفور إلى مكتب الأستاذ (مختار) ، الذى استقبلها فى حرارة ، وسألها فى اهتمام :
ــ ما الذى يمكننى تقديمه لك بالضبط يا سيّدة (ليلى) ؟
سألته فى لهفة :
ــ ما الذى تعرفه عن (عادل رمزى) ؟
رفع حاجبيه على نحو يُوحِى بأن السؤال كان مفاجئًا ، ثم عاد يخفضهما ، ويبتسم قائلًا :

ــ ولماذا السؤال ؟.. هل نشب بينكما شجار آخر ؟
أجابته فى سرعة أدهشته :
ــ مطلقًا ، ولكن .....
بترت عبارتها بغتة ، وتضرّج وجهها بحُمرة ارتباك ، جعلته يبتسم أكثر ، ويجلس خلف مكتبه هادئًا ، متطلّعًا إليها فى صمت ، قبل أن يسألها :
ــ ما الذى تريدين معرفته عنه بالضبط ؟
ازدردت لُعَابها فى صعوبة ، وقالت :
ــ كل شىء .
رفع حاجبيه فى دهشة ، فأسرعت تضيف :
ــ إنه يعرف كل شىء عنّى ، وهذا عدل .
ابتسم مرّة أخرى ، وأشار إلى صدره ، قائلًا :
ــ إنه لم يعرفه منّى .
عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى حَنَق :
ــ ماذا تعنى ؟
تلاشت ابتسامته ، وهو يعتدل ، ويقول فى جدّية :
ــ أعنى أننى محامٍ ، ومحاميكما على وجه الخصوص ، وهذا يمنعنى تمامًا من كشف أسرار أحدكما للآخر .
هتفت مُخْتنقة :
ــ أيعنى هذا أنك تعرف عنه كل شىء ؟

هزَّ كتفيه ، ومطَّ شفتيه ، قائلًا :

ــ بالطبع .

ثم استدرك فى سرعة :

ــ ولكن هذا لا يعنى أنه من حقِّى أن أخبرك بشىء .

قالت فى غيظ :

ــ أتحمل حياته كل هذا القدر من الأسرار ؟

هزَّ كتفيه مرَّة أخرى ، وقال :

ــ من وجهة نظره .

صمتت فى حنق ، وشعرت بغيظ شديد ؛ لعجزها عن معرفة أى شىء عن (عادل) ، وغمغمت فى ضيق :

ــ حسنًا .. هناك سؤال واحد أحب معرفة جوابه .

ابتسم المحامى ، قائلًا :

ــ هذا يتوقَّف على نوع السؤال .

مالت نحوه ، وقالت فى حدَّة :

ــ هل حصل (عادل) على أمواله من مصدر شريف ؟

بدت الدهشة على وجه المحامى ، وهتف :

ــ بالطبع .. وهل راوَدك الشك فى هذا ؟

أخجلتها دهشته ، فتمتمت :

ــ فى الواقع .. نعم .. بعض الشىء ، و .....

ابتسم المحامى ابتسامة عريضة ، وقال وهو يتأمَّلها فى إمعان :

ــ مدام (ليلى) .. هل يمكننى أن ألقى عليك سؤالًا واحدًا ؟

أجابته فى حَيْرة :

ــ نعم .. يمكنك بالطبع ، فأنت محامىَّ الخاص .

مال نحوها ، وسألها بغتة :

ــ هل معرفته لحياتك هى السبب الوحيد ؟

ارتجف قلبها للسؤال ، وشَحُبَ وجهها ، وهى تغمغم :

ــ ماذا تعْنِى ؟

اعتدل دون أن تتلاشى ابتسامته العريضة ، وقال فى خُبْث :

ــ لا شىء .. لست أعْنِى شيئًا .

ولم تجب على سؤاله ..

ولم يطلب هو منها الجواب ..

ولكن السؤال لم يفارق ذهنها أبدًا ..

وراح فى كل لحظة يُلقى نفسه على رأسها ..

لماذا ؟..

لماذا تهتم بـ (عادل) حقًّا ؟

ولم تجد الجواب ..

لم تجرؤ ..

* * *

٦ ـــ من هو ..؟

انتهى الشهر ..

شهر الاختبار ..

انتهى بغتة ، قبل أن ينتهى (عادل) من تنفيذ كل أفكاره وتعديلاته ..

ولقد بدا هو مكتئبا مُختنقًا للغاية ، فى اليوم الأخير من الشهر ، وكأن حياته ستنتهى مع انتهاء إدارته للفندق ..

وفى اليوم الأخير ظلّ يعمل طِيلَة الأربع والعشرين ساعة ، وكأنما أراد أن يُنجز أكبر قدر من الإنجاز ، قبل أن ينتهى اليوم ..

ومع صباح اليوم التالى ، كان حزينًا ..

حزينًا بحق ..

حزينًا حتى أن (ليل) شعرت بالتعاطف معه ، وودّت لو تنازلت له عن بضعة أيام أخرى ، لولا أن خشيت رفضه ، أو الظهور أمامه بمظهر الخضوع والتنازل ، وإن لم يمنعها ذلك من أن تسأله :

ـــ هل يضايقك أن تتخلى عن الإدارة ؟

أشاح بوجهه عنها فى ضيق ، وهو يقول :

ـــ يا له من سؤال !

قالت وهى تراقب ملامحه فى اهتمام :

ـــ ولكن لماذا يضايقك هذا؟.. لقد صنعت معجزة حقيقية ، ففى أقلّ من شهر واحد أبدلت المطعم تمامًا ، وجعلت منه تحفة ، وأصبحنا نعجز عن استيعاب كل الراغبين فى تناول الطعام عندنا ، بالإضافة إلى نزلاء الفندق ، وأضفت حديقة أطفال جميلة ، صارت حُلمًا لكل طفل فى مدينة (الإسكندرية) ، وأصبح فندقنا يمتلك ناديًا للسينما ،و .....

قاطعها فى ضيق :

ـــ لم ينته النادى بعد .

ابتسمت فى إشفاق ، وهى تقول :

ـــ سأعمل على إتمامه .. اطمئن .

ابتسم فى مرارة ، وهو يقول :

ـــ أطمئن ؟!.. يا لها من كلمة !

تنهّدت فى ضيق ، ولاذت بالصمت إلى جواره لحظات ، ثم ارتجف جسدها كله فى قوة وعنف ..

وخفق قلبها فى لوعة ..

لقد رأت فى عينيه بريقًا يختلف ..
يختلف كثيرًا عن ذلك البريق العابث ..
وحتى عن بريق الحزن ..
لقد رأت فى عينيه بريقًا حقيقيًّا ..
بريق دموع ..
وارتفع حاجباها فى حنان ، وهى تقول :
— (عادل) .. هل ..... ؟
لم تجرؤ على نطق الكلمة ..
لم تجرؤ على جرح أحاسيسه ، أو رجولته ..
وابتلعت الكلمة فى صمت ، ولكنها أدركت لحظتها أنها تحمل له فى قلبها ما يفُوق الاحترام والإعجاب ..
لقد كان قلبها يخفق مع كل دمعة فى عينيه ..
وكانت مشاعرها نحوه عجيبة ..
لقد تمنّت أن تضمّه إلى صدرها ..
وأن تحيطه بكل حُبها وحنانها ..
بدا لها فجأة كطفل بائس ، فجّر فى أعماقها كل حنان الأمومة ..
أم هو شعور آخر ..
— لا ..

طردت الفكرة بسرعة من رأسها ..
مستحيل أن يتجاوز شعورها نحوه هذا !..
مستحيل أن يختلف حُبها له عن حُب أم لابنها ..
إنها تكبره عمرًا ..
إنه يصغرها بثلاثة أعوام ..
لا .. لا ينبغى لها أن تضع هذا الشعور فى قلبها ..
لا ينبغى أبدًا ..
وطال صمتها ، حتى جفّف دموعه ، وسألها فى صرامة ، حاول أن يُخفِىَ بها لحظة ضعفه :
— هل ماذا ؟
قالت فى حَيْرَة :
— ماذا تقول ؟
أجابها فى حِدّة ولّدتها انفعالاته المكبوتة :
— أسألك عما تريدين .. لقد بدأت سؤالًا بكلمة (هل) ، ثم توقّفت ، فماذا كنت تريدين ؟
ازدردت لُعَابها فى ارتباك ، ثم تماسكت ، وقالت :
— هل تحب أن تتابع مشاريعك بنفسك ؟
التفت إليها فى دهشة ، وتطلّع إلى ملامحها فى حَيْرَة ، قبل أن يسألها :
— أتَعْنِينَ ذلك حقًّا ؟

كانت السعادة واضحة فى ملامحه ، حتى أنها ابتسمت فى حنان ، قائلة :

— بالطبع .. إنه فندقنا معًا ، ومن الأفضل أن تتم ما بدأته .

تهلّلت أساريره ، وهو يهتف :

— (ليلى) .. إنك رائعة .

خفق قلبها فى سعادة ، وأضافت فى مزيد من الحنان :

— على ألا تتدخل فى شئون الإدارة الأخرى بالطبع .

صاح فى حماس .

— أنت رائعة .. رائعة حقًّا .

وأمسك كتفيها فى قوة ، وتطلّع بعينيه السُّوداوين إلى عينيها العسليتين ، وهو يستطرد فى انفعال :

— لن تصدّق أبدًا كم يسعدنى ذلك .. لن تدركى أبدًا مقدار ما قدّمت لى من سعادة بتنازلك هذا .. إننى .....

قاطعه صوت ساخر ، يقول :

— أنت عاشق .

التفت مع (ليلى) إلى مصدر الصوت فى حدّة ، واحتقن وجه هذه الأخيرة ، وهى تقول فى صوت متحشرج ودهشة واضحة ، يخالطها غير قليل من التوتُّر :

— (زبيدة) ؟!

أجابتها (زبيدة) فى سُخْرية :

— نعم .. أنا هى يا أرملة شقيقى الراحل .

ارتبكت (ليلى) كثيرًا ، وأسرعت تُبعد كفَّىْ (عادل) عن كتفيها ، وهى تقول فى ارتباك :

— الأستاذ (عادل رمزى) .. شريكى فى ملكيّة الفندق .

رمقت (زبيدة) (عادل) بنظرة جانبية ، وقالت فى لهجة خبيثة :

— فقط ؟

احتقن وجه (ليلى) ، وهى تقول :

— ماذا تعنين ؟

ابتسمت (زبيدة) فى خُبْث ، وهى تقول :

— ولماذا أعنى شيئًا ؟ لقد كان الأمر أكثر وضوحًا من ترك العنان للخيال .

هتفت (ليلى) فى حَنَق :

— إنك .....

كان هناك سباب ساخط على طرف لسانها ، يهمّ بالقفز إلى أذنى (زبيدة) ، عندما قاطعها (عادل) بغتة :

— أليس من الأفضل أن نتعارف أنا والسيّدة أوّلًا ؟..

وقبل أن تنبس (ليلى) ببنتِ شفة ، التفت هو إلى (زبيدة) ، وتناول كفّها فى يده ، وانحنى يلثمها فى رشاقة ، وهو يقول :

ــ لقد علمت الآن أنك شقيقة زوج السيّدة (ليلى) الراحل ، وأن اسمك هو (زبيدة) ، و .....

صمت لحظة ، وهو يرفع وجهه إليها ، ويبتسم مضيفًا :

ــ وأنك فاتنة .

عقدت (ليلى) حاجبيها فى ضيق ، وبدا لها نفاق (عادل) واضحًا ، فقد كانت (زبيدة) فى تلك الليلة أشبه بكُرة منتفخة حمراء ، بوجهها السمين ، وثوبها الأحمر ، وشعرها المصبوغ ، ولكن (زبيدة) لم تنتبه إلى ما تكتظ به العبارة من نفاق ..

أو أن ذلك النفاق قد رَاق لها ، فقد رفعت حاجبيها فى دهشة ، وعادت تتطلّع إلى ملامح (عادل) الوسيمة فى اهتمام ، قبل أن تسأله :

ــ أأنت شريكها حقًّا ؟

أجابتها (ليلى) فى ضيق :

ــ إنه الشاب الذى ابتاع نصف الفندق من (منصور) (رحمه الله) ، ولقد دفع مليونين من الجنيهات ثمنًا له .

رفعت (زبيدة) حاجبيها فى دهشة ، وهتفت فى صوت لاهث ، من فرط الانفعال :

ــ مليونين ؟!

وبدا وكأن ذكر الرقم قد أنساها ما رأته منذ لحظات تمامًا ، فارتسمت على شفتيها ابتسامة هادئة ، وإن شفّ بريق عينيها عن أنها تخطّط لشىء ما ، لم يلبث أن أفصح عن نفسه ، عندما سألته :

ــ وهل درست الفندقة ؟

أجابها (عادل) ، وهو يرسم على شفتيه ابتسامة دبلوماسية :

ــ لم أحظ بهذا الشرف للأسف يا سيّدتى .

برقت عيناها فى ظَفَر ، ولخيّل لـ (ليلى) أنها تقرأ أفكارها ، وأنها تعلم ما ستنطق به تمامًا ، حتى أنه لم يدهشها أن تسمعها تقول :

ــ يا للمصادفة !.. ستحتاج إذن إلى خبرة ابنتى ، فهى خريجة معهد السياحة والفنادق .

هتف (عادل) مجاملًا :

ــ حقًّا ؟!

أجابته (زبيدة) فى لهفة :

ــ بالطبع ، ولقد كانت متفوّقة فى دراستها ، ثم إن أفكارها مبتكرة ، و .....

قاطعها مبتسمًا :

ــ كم سيسعدنى ويشرّفنى أن ألتقى بها ، وأن أستمع إليها يا سيّدتى .

تأمّلته (زبيدة) فى إعجاب ، ثم رفعت إحدى حاجبيها ، وهى تقول فى لهجة ذئب وجد طريقه إلى فريسته على التوّ :

ــ سيحدث .. سيحدث فى أقرب فرصة .

ثم أضافت فى دهاء :

ــ ربما غدًا .

وأسرعت تستدرك على نحو واضح الافتعال :

ــ لو لم تكن مرتبطًا بموعد آخر .

هتف فى حماس مصطنع :

ــ لا .. لست مرتبطًا بأيّة مواعيد ، سأنتظرها غدًا صباحًا بإذن الله .

ابتسمت (زبيدة) فى ارتياح ، وقالت :

ــ فليكن .

ثم التفتت إلى (ليلى) ، وقال فى لهجة شديدة التهذيب ، لم تعتدها شفتاها ، ولا أذنا (ليلى) :

ــ تهنئاتى على شريكك الرائع هذا يا عزيزتى (ليلى) .

تمتمت (ليلى) بكلمات غير مفهومة وهى تتطلّع إليها فى حَيْرة ، وصافحتها فى دهشة ، وظلّت تتابعها بعينيها فى حَنق ، وهى تنصرف ، ثم هتفت فى سُخط :

ــ يا للأفعى !

والتفتت إلى (عادل) ، مستطردة فى حَنَق :

ــ وأنت كنت تتعامل معها كما لو كانت أميرة !

ابتسم ، وهو يقول :

ــ لقد أعفاك هذا من سمومها .. أليس كذلك ؟

حدّقت فى وجهه بدهشة ، قبل أن تغمغم :

ــ أتعنى أن كل هذا ..... ؟

حافظ على ابتسامته الهادئة ، وهو يقول مقاطعًا :

ــ كان لإنقاذك من لسانها السّليط .

ظلّت تتطلّع إليه فى دهشة وحَيْرة ، ثم ابتسمت فى حياء ، وهى تغمغم :

ــ أتعنى أنك قد فعلت هذا من أجلى ؟

صمت طويلًا ، وهو يتطلّع إلى عينيها ، ثم استدار بجسمه كله إليها ، ومدّ يديه إلى كتفيها ، وقال فى صوت عميق :

ــ (ليلى) .. لست أدرى كيف أشكرك على تنازلك

هذا .. لقد زاد من احترامى لك ، بعد كل ما علمته عن كفاحك ، وهو يؤكد أن رأيى فيك لم يكن مخطئًا ، وأنك سيِّدة نادرة ، بكل ما تحمله الكلمة من معان ، وخاصة فى هذا الزمان ، الذى أصبحت الأنانية هى شعاره .

تضرَّج وجهها بحُمرة الخجل ، وهى تقول مبتسمة فى ارتباك :

— ماذا أصابك ؟.. أهى خِطبَة جدِيدة ؟

رفع ذقنها بسبَّابته ، وعاد يتطلَّع إلى عينيها فى عمق ، قبل أن يقول فى صوت تهدَّج انفعالًا :

— (ليلى) .. إننى .....

حارت الكلمات على شفتيه ، وبدا تردُّده واضحًا ، وامتلأت نفسها بالخجل ، ولكن فُضُولها ولهفتها جعلاها تسأله :

— أنت ماذا ؟!

تردَّد مرَّة أخرى طويلًا ، فقالت تستحثه :

— أنت ماذا يا أستاذ (عادل) ؟

شرد بصره بغتة ، وخُيِّل إليها أنه قد سبح بأفكاره بعيدًا ، قبل أن يخفض كفَيه ، ويشيح بوجهه عن وجهها ، قائلًا فى حزم :

— إننى أشكرك .

غمغمت فى إحباط :

— فقط ؟

أجابها فى حزم أدهشها :

طابت ليلتك .

ثم ابتعد عنها فى خطوات سريعة ، كما لو أنه يخشاها ، وتابعته هى بعينيها فى حَيْرَة ، ثم هتف هاتف فى أعماقها ..

أى رجل هذا ؟..

من هو ؟..

من ؟..

وكان الجواب غامضًا مُبهمًا ..

مثله ..

* * *



٧ ــ الخُطَّـة ..

لأول مرة ، منذ وفاة زوجها ، شعرت (ليل) أنها لم تعُد وحيدة ..

لم تعُد تلك الأرملة المنطوية ، التي تحمل في قلبها الشك لكل الناس ..

لقد صارت أكثر هدوءًا ، وأكثر اطمئنانًا ..

ولكن لماذا ؟..

أمن أجله ؟..

أمن أجل شاب تجهل كل شيء عنه تقريبًا ؟..

يالقلبها من مغامر !!

إنها تشعر برقصة بين ضلوعها ، وهي ترقد على فراشها ..

تسمع نبضاته كزغاريد حُبٌ وسعادة ..

حتى تدفُّق الدماء في عروقها صار له صوتِ الموسيقى ..

لم يَعُد هناك مجال للإنكار ..

إنها تحَب ..

تحبُه ..

تجمَّدت أفكارها كلها عند هذه النقطة ، وشحُب وجهها ، وارتجفت أطرافها ، كما لو أن أحدًا قد أمسك بها متلبِّسة بالسرقة ..

ونهضت جالسة على فراشها ، وهي تنتفض ..

وهالها ما دار بخلَدها ..

كيف ؟!..

كيف تقع في حُبٌ شاب يصغرها ؟..

بل كيف تقع في أي حب ، ولم تمْضِ ثلاثة شهور على وفاة زوجها ؟!..

إنها حتى لم تخلع الثياب السوداء بعد ..

خامرها شعور قوى بالندم ، وبتأنيب الضمير ، وترقرقت الدموع في عينيها ، وملأت صورة زوجها الراحل ذهنها ، فانحدرت من عينيها دمعة ، وهي تقول في خِزْي :

ــ سامحني يا (منصور) .. سامحني .. لقد كنت دَوْمًا رقيقًا عطوفًا معي ، ولكنني لم أحبك أبدًا ذلك الحب ، الذي عشت حداثتي أحلُم به .. سامحني .

سالت دموعها في صمت ، وهي تتطلَّع إلى صورة زفافها ،

التي تحتلّ موضعًا متميّزًا ، فى ذلك الحائط المواجه لفراشها ..

يا لحياتها العجيبة !!..

لقد عاشت مراهقتها تحلُم بفارس الأحلام الوسيم ، الذى يختطفها على حصانه الأبيض ، ويحلّق بها فى سماء العشق والخيال ..

ولكنه لم يأت ..

أتى بدلًا منه كهل هادئ رصين ، حملها داخل سيارة قديمة ، ورحل بها إلى عالم الواقع ..

ثم تركها الكهل ..

وعندما جاء الفارس ، كان الزمن قد مضى وولّى ..

جاء أصغر منها عمرًا ..

ابتسمت فى مرارة عند هذه النقطة ، وغمغمت :

ـ جاء فى زمن غير مناسب .

وسبح خيالها الباكى ، وبدا لها (عادل) فى صورة فارس صنديد ، يهرع إليها على صهوة جواده ، ثم فرد الجواد جناحيه ، و .....

وفجأة ، ظهرت (زبيدة) فى الصورة ..

ظهرت لتحتلّها كلها ..

وانتفض جسد (ليلى) ..

لقد تذكّرت تلك الأفعى ..

تذكّرت لقاءها بـ(عادل) ، وحديثها معه ..

لقد بدأت الأفعى خطّتها ..

إنها ستدفع ابنتها (هويدا) فى طريق (عادل) ..

وهى تعرف (هويدا) ..

فاتنة شقراء ، ذات عينين زرقاوين ، يذوب فيهما سحر القمر ، ويُطلّ منهما حجم الحب ..

إنها تعرفها ..

ستُبهر (عادل) ..

ستسحره ..

إنها تعرفها ..

شعرت بضيق شديد ، جعلها تغادر فراشها ، وتدور فى حجرتها كالجريحة ، وهى تغمغم :

ـ ولماذا أهتم ؟.. هذا شأنه .. إنه شاب عَزَب ، وهو .....

بترت عبارتها ، وحاولت أن تتجاهلها ، ولكن الكلمة قفزت إلى ذهنها ، على الرغم منها ..

إنه أصغر منها ..

لن يمكنها تجاهل ذلك ، أو الفرار منه ..
لن يمكنها أن تخدع نفسها ..
إنها تحبه ، وتعلم أن ارتباطها به مستحيل ..
ولكن لماذا تحبه ؟..
متى وكيف أحبّته ؟..
هل وجدت فيه صورة فارس أحلامها ؟..
هل أعجبها كفاحه ؟..
أى كفاح ؟
مالها تتخبط بأفكارها هكذا ؟..
إن أمثاله لا يكافحون ..
لقد ابتاع نصف الفندق بمليونى جنيه نقدًا ، والمكافحون لا يمتلكون مثل هذا المبلغ الضخم ، وهم بعد فى السادسة والعشرين من عمرهم ؟
لقد ورثه حتمًا ..
إذن لماذا جذب مشاعرها إليه على هذا النحو ؟!..
يبدو أنها لن تجد الجواب قط ..
ولكنها ستظلّ تحبه ..
حتى ولو لم يكن لديها أمل فى الارتباط به ..
حتى ولو أخذته غيرها ..

إنها ستحبه فحسب ..
انتبهت فجأة إلى أن دموعها تنهمر على وجهها فى غزارة ، وتتساقط على الأرض كالمطر ، فأسرعت تحاول تجفيفها ، ثم اندفعت إلى فراشها ..
ولكنها لم تنم ..
لم تنم حتى الصباح ..
وعندما استقلّت سيارتها إلى الفندق ، لم تكن دموعها قد جفّت بعد ، ولكنها استنفدت كل جهودها وقوتها ، لتوقف شلّال الدموع ، قبل أن تصل إلى الفندق ..
وقرّرت أن تقاوم ..
لن تسمح لمشاعرها بهزيمتها ..
ستظل قوية كما كانت دومًا ..
وتطلّعت إلى عينيها فى مرآة السيارة ، وهى تتوقّف أمام الفندق ، وهالها احمرارهما الشديد ، فأسرعت تخفيهما بمنظار شمس أنيق ، وغادرت السيارة ، واتجهت فى خطوات حاسمة سريعة إلى الداخل ..
ثم توقّفت بغتة ..
لقد رأته ..
بل رأتهما معًا ..

(عادل) و (هويدا) ..
كانا يجلسان معًا على مقعدين متجاورين ، فى بهو الفندق ، وقد انهمكا فى حديث طويل ..
وكانا يبدوان وكأن كلًّا منهما يليق للآخر تمامًا ..
هو بشعره الأسود الناعم ، ووسامته ، وعينيه السوداوين ..
وهى بشقرتها وعيونها الزُّرق الساحرة ..
وبينما تتطلع إليهما فى ضيق وغيرة ، سمعت من خلفها صوتًا أنثويًا مألوفًا ، يقول فى شماتة شفَّت عن صاحبته :
ــ ما رأيك فيهما ؟
التفتت (ليلى) فى ضيق إلى مصدر الصوت ، ووقع بصرها على وجه (زبيدة) المكتنظ ، فتنهَّدت فى توتر ، وقالت وهى تتمنى أن تكتم تلك الابتسامة الخبيثة ، على شفتى شقيقة زوجها الراحل :
ــ أهلًا يا (زبيدة) .. لقد وصلت مبكِّرةً هذا الصباح .
أشارت (زبيدة) فى خُبث إلى ابنتها ، التى انهمكت فى الحديث مع (عادل) ، وقالت :
ــ هناك بعض الأمور ينبغى بدؤها مبكِّرًا .
قالت (ليلى) فى ضيق :
ــ نعم .. مثل خطط الاستيلاء .

أطلقت (زبيدة) ضحكة تجمع ما بين الخبث والسُّخرية والشماتة ، قبل أن تقول :
ــ تمامًا .. هل يضايقك أن أسعى للحصول على زوج مناسب لابنتى ؟
هزَّت (ليلى) كتفيها ، وقالت محاولة التظاهر باللامبالاة :
ــ هذا شأنك .. وشأنها .
قالت (زبيدة) فى غطرسة :
ــ بالطبع .
ثم عادت تضيف فى خُبث :
ــ وأظن أنه من الأفضل أن تبدئى فى تحسين علاقتك بـ (هويدا) ، فقد تصبح شريكتك .
عقدت حاجبيها ، وهى تتطلَّع إلى (زبيدة) فى دهشة واستنكار ، فأضافت هذه الأخيرة فى سُخرية :
ــ أو زوجة شريكك .
قالت (ليلى) فى جِدَّة :
ــ إذن فهذا ما تسعين إليه ؟
ابتسمت (زبيدة) فى دهاء ، مجيبة :
ــ ولِمَ لا ؟.. لقد منحك شقيقى كل شىء ، وحرمنا نصيبًا فى فندقه ، وليس هناك ما يمنع من السَّعى لاستعادة بعض حقوقنا .

هتفت (ليلى) فى حنق :

ـ يا للحقارة !!.. ألا تعلمين أن الزواج القائم على المال زواج فاشل ؟

رفعت (زبيدة) أحد حاجبيها ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة ، وهى تقول :

ـ حقًّا ؟!..

أدركت (ليلى) ما تعنيه المرأة بكلمتها ، فأشاحت بوجهها مغمغمة فى مرارة :

ـ لم أكن أملك أمر نفسى حينذاك .

أطلقت (زبيدة) ضحكة ساخرة طويلة ، تموج بثقتها فى أنها قد نجحت فى إصابة هدفها ، وقالت متهكِّمة :

ـ يا للمسكينة !

ثم أضافت فى شراسة مفاجئة :

ـ وضع ابنتى يختلف إذن ، فهى تملك أمر نفسها .

واتسعت ابتسامتها ، وهى تضيف :

ـ وتعرف هدفها ..

ثم اعتدلت ، وأشارت إلى حيث يجلس (عادل) مع ابنتها ، مستطردة فى زهو :

ـ ألا ترين ؟

ألقت (ليلى) نظرة على المشهد مرَّة أخرى ، وصرخت أعماقها :

ـ وما شأنك أنت ؟

ولكن عقلها أجاب :

ـ إنه شريكى على الأقل .

وارتفع صوت (زبيدة) ليطغى على كل الأصوات ، وهى تقول فى سُخرية :

ـ هل تشعرين بالغَيْرة ؟

هتفت مستنكرة :

ـ الغَيْرة ؟!.. أنا ؟!

ثم لوَّحت بكفِّها مستطردة :

ـ إنه مجرَّد شريك .

ورفعت رأسها فى اعتدادٍ ، مضيفة :

ـ وسأهنئهما بنفسى .

واندفعت إلى حيث يجلس (عادل) و (هويدا) ، وقالت فى حِدَّة :

ـ تهنئاتى .

أدار الاثنان عيونهما إليها فى دهشة ، وارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتى (هويدا) ، شبيهة بابتسامة أمها ، فى حين هتف (عادل) :

ـ (ليلى) ؟!

ثم أضاف فى حيْرة :
ــ أيّة تهنئة تلك ؟
ارتبكت (ليلى) تمامًا ..
علام تهنّئه ؟!
إنه يتحدّث إلى فتاة فحسب !..
وعاد هو يسألها فى اهتمام جادّ :
ــ ماذا تعْنين ؟
غمغمت متلعثمة :
ــ كنت أقصد تهنئتكما على ذلك اللقاء .
اتسعت ابتسامة (هويدا) الخبيثة ، وتبادلت نظرة سريعة مع أمها ، قبل أن تقول فى صوت ناعم :
ــ أشكرك يا عمتى .. اللقاء مع الأستاذ (عادل) يستحق التهنئة بالفعل .
وأدارت عينيها إلى (عادل) ، وهى تستطرد فى دلال :
ــ إنه رائع .
احتقن وجه (ليلى) ضيقًا ، وسمعت (عادل) يسألها مرّة أخرى :
ــ ماذا عنيت بالتهنئة حقًا ؟
شحُب صوتها ، وهى تجيبه :
ــ لا عليك .. لم أكن أقصد حرفية العبارة .

وصلت (زبيدة) فى هذه اللحظة ، وسألت (عادل) فى صوت أشدّ نعومة من أفعى رَقْطَاء :
ــ هل رَاقَ لك الحديث مع ابنتى يا أستاذ (عادل) ؟..
بدت العبارة فجةً لـ (ليلى) ، فقلبت شفتيها امتعاضًا ، فى حين أسرعت (هويدا) تقول :
ــ لقد استفدت أنا منه كثيرًا يا أُماه ، فهو يمتلك عقلية سياحية رائعة .
تمتم (عادل) ، وهو يرسم على شفتيه ابتسامة أنيقة :
ــ شكرًا لك يا آنسة (هويدا) .
مالت نحوه ، وداعبت وجهه بشعرها الأشقر الناعم ، على نحو حاولت أن تجعله يبدو عفويًا ، وهى تقول فى دلال ناعم :
ــ لماذا تصرُّ على حاجز الكُلْفة بيننا ؟.. نادنى باسم (هويدا) فحسب .
ثم اعتدلت مستطردة :
ــ وسأدعوك لتناول طعام الغذاء معى ، فى نادى (اسبورتنج) .
ابتسم قائلًا :
ــ سيسعدنى هذا بالطبع ، ولكننى لم أعْتَد أن تدعونى فتاة .. سأقبل الدعوة ، على أن أتحمّل أنا التكلفة .
مالت نحوه مرّة أخرى ، وهى تقول بنفس الدلال :
ــ لا بأس .. لن أعقّد الأمور .. المهم أن تأتى .

ابتسم قائلًا :

ــ سأحضر فى موعد الغداء بإذن الله .

نهضت (هويدا) فى رشاقة ، وناولته أناملها ، وكأنها تنتظر منه أن يلثمها كما يفعل الباريسيون ، إلا أنه نهض يصافحها فى هدوء ، فأطلقت ضحكة ناعمة ، وقالت :

ــ سأنتظرك .

وتأبطت ذراع أمها ، واتجهت معها بضع خطوات نحو الباب ، ثم التفتت فى حركة سريعة ، تطاير لها شعرها الأشقر الجميل ، قبل أن تهتف وكأنها قد نسيت أمرًا ما :

ــ قُلْ لى يا (عادل) .. هل تجيد ركوب الخيل ؟

أجابها مبتسمًا :

ــ بالطبع .

ابتسمت (هويدا) ابتسامة ساحرة ، ثم انصرفت مع أمها ، وظلَّ (عادل) يتابعها ببصره فى هدوء ، فغمغمت (ليلى) فى غَيْرة :

ــ من السهل أن يقع المرء فى حب فاتنة مثلها .. أليس كذلك ؟

انعقد حاجباه بضع لحظات ، ثم أجاب فى صرامة :

ــ هذا لو أن قلبه يحوِى فراغًا للحبِّ .

ثم ابتعد عنها فى خطوات سريعة ، وقد أعاد تفجير السؤال نفسه فى أعماقها ..

من هو ؟!..

* * *

٨ ــ حصان أبيض ..

انهمكت (ليلى) فى أعمال الإدارة على نحو عنيف ، فى أوّل أيام الشهر المخصَّص لها فى هذا الشأن ..

وبدا لها وكأنها تحمل تلك المسئولية لأوّل مرّة ، على الرغم من أنها كانت تدير الفندق قبيل وفاة زوجها بالفعل ..

وعندما عادت إلى حجرتها ، فى منتصف النهار ، وألقت جسدها المكدود خلف مكتبها ، وحاولت أن تسترخى فى مقعدها ، خُيِّل إليها أنها لم تعمل هكذا ، منذ مولدها ..

ولقد أدهشها أن تشعر بكل هذا التعب ..

وراح عقلها يبحث عن السبب ..

هل كانت تبذل جهدًا أكبر ، لتنسى أمر (عادل) ؟..

لتنسى أنه لم يَعُدْ لهَا ؟!..

أم أنها كانت تحاول أن تبذل جهدًا مساويًا لجهده ؟!..

أو هو مزيج من هذا وذاك ؟!..

لم يكن بمقدورها ، مع كل ذلك الإرهاق ، أن تجد الجواب ..

لذا فقد تجاهلته ..

وعندما حاولت أن تفعل ، سمعت صوت طرقات هادئة ، على باب مكتبها ، فغمغمت وهى تغلق عينيها فى إرهاق :

ــ ادخل .

سمعت صوت الباب يُفتح ، ووقع أقدام تقترب منها ، ففتحت عينيها فى بطء وتكاسل ..

ورأته أمامها ..

رأت (عادل) يتطلَّع إليها فى تعاطف وإشفاق ..

وكانت عيناه تحملان حنانًا عجيبًا ..

حنانًا يفيض ليحتضنها فى دفء ، ويحيط قلبها بغلاف واق من الأحزان ..

ولدقيقة كاملة ، ظلَّت تتطلَّع إلى دفء عينيه ، قبل أن تنتبه إلى أمرها ، فتعتدل فى سرعة ، وتتنحنح قائلة فى حرج :

ــ أستاذ (عادل) !!.. ماذا هناك ؟

ظلَّ يتطلَّع إليها بضع لحظات فى حنان ، ثم قال فى خفوت :

ــ هل تشعرين بالتعب ؟

تنحنحت مرَّة أخرى ، وحاولت أن تبتسم فى ارتباك ، وهى تقول :

ــ التعب ؟.. لا .. مطلقًا .

ابتسم ابتسامة حانية ، وهو يقول :

ــ لِمَ تكابرين ؟.. عُودى إلى منزلك ، وسأتولَّى أنا الأمر .

عقدت حاجبيها ، وقالت فى توتُّر :

ــ لا .. سأبقى .

تنهَّد وقال :

ــ كما يحلو لك .

تنحنحت للمرَّة الثالثة ، وكأنما تحاول التغلُّب على ارتباكها ، وقالت :

ــ هل أتيت لتسألنى هذا السؤال فحسب ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وجذب مقعدًا ، وجلس مجيبًا فى هدوء :

ــ بل أتيت لأخبرك أن نادى السينما قد اكتمل .

هتفت فى دهشة :

ــ بهذه السرعة ؟!

ابتسم ابتسامة باهتة وهو يقول :

ــ إننى أعمل على إنهائه منذ صباح أمس .

تطلَّعت إليه فى حَيْرَة ، وبدا لها شُحُوب وجهه مبالغًا ، فغمغمت مُشفقة :

ــ ألا تنام أبدًا ؟

أجابها وهو يحاول أن يبتسم :
ـــ لا أحد يبقى مستيقظًا إلى ما لا نهاية .
قالت فى عطف :
ـــ ولكنك تبدو شاحبًا للغاية .
هزَّ كتفيه ، وقال :
ـــ لا عليك .. قليل من النوم والغذاء يزيل هذا الشُّحُوب .
صمتت وهى تتأمله فى تعاطف ، وقلبها يسبح فى بحر من المشاعر ، قبل أن تغمغم :
ـــ ما الذى تحاوله بالضبط ؟
أدار عينيه إليها فى دهشة ، فاستطردت مُشفقة :
ـــ إنك تقتل نفسك فى العمل ، فما الذى تحاول نسيانه ؟
ارتفع حاجباه فى دهشة وذُعر ، كطفل ضُبط متلبسًا بعبث ما ، قبل أن يهتف فى حدَّة :
ـــ لست أحاول نسيان شىء .
ونهض فى حركة عنيفة ، واتجه نحو باب حجرتها ، فاستوقفه صوتها الخافت ، وهى تقول فى حرج :
ـــ معذرة .. لم أقصد مضايقتك .
توقَّف عند الباب بغتة ، ظلَّ صامتًا لحظات ، بدا خلالها

وكأن الحجرة كلها كانت تسبح فى صمت تام ، قبل أن يلتفت إلى (ليلى) ، ويتطلَّع إليها فى جديَّة ، ثم يقول فى صوت عميق :
ـــ اطمئنى .. لن أغضب منك قَطُّ .
غمغمت فى لهفة :
ـــ قَطُّ ؟!
أجابها فى جِديَة تامة :
ـــ نعم .. أنت بالذات ، لن أغضب منك قط .
خفَق قلبها فى عنف ، وهى تسأله :
ـــ لماذا ؟
تطلَّع إلى وجهها لحظات أخرى فى صمت ، ثم قال فى هدوء :
ـــ ربَّما .
لم تجد أيَّة صلة بين سؤالها وكلمته ، فغمغمت فى حَيْرَة :
ـــ ربَّما ماذا ؟
أجابها فى خُفُوت :
ـــ ربَّما أجيب عن سؤالك هذا يومًا .
وغادر الحجرة ، وهو يُغلق بابها خلفه فى هدوء ..
وترك قلبها يخفق فى قوة ..

ما الذى يعنيه بعبارته ؟!..
ما الذى يقصده بأنه لن يغضب منها قطُّ ؟!
الإنسان لا يغضب قطُّ من شخصين ..
شخص لا يهتم هو به مطلقًا ..
أو شخص يحبُّه ..
أيهما هى عنده بالضبط ؟..
خفق قلبها مرَّة أخرى ، والجواب يفرض نفسه على رأسها وعقلها وكيانها كله ..
إنه يحبُّها ..
ما فى ذلك من شكٍّ ..
صحيح أنه لم يصرِّح لها بذلك ، ولكنه يحبُّها حتمًا .
رقص قلبها طربًا ، عند هذه النقطة ، وهبَّت من مقعدها ، وقد قرَّرت أن تذهب إليه ..
نعم .. ستذهب هى إليه ..
لو أنه يتردَّد فى مصارحتها بحبِّه لها ، فهى ستساعده على ذلك .
أسرعت نحو باب حجرتها ، ثم توقَّفت ، وعادت بسرعة إلى مرآتها ، وتأمَّلت وجهها لحظة ، ثم أخرجت طلاء الشفاه من حقيبتها ، وطلت به شفتيها ، وراحت تعدِّل من زينتها فى

اهتمام ، ثم غادرت الحجرة ، وسألت أوَّل عامل صادفها ، من عمَّال الفندق :
ــ أين ذهب الأستاذ (عادل) ؟
أجابها العامل فى بساطة :
ــ لقد انصرف .
انتفض جسدها ، وهى تسأله فى حدَّة :
ــ انصرف ؟!.. إلى أين ؟
ارتبك العامل ، وهو يقول :
ــ لست أدرى يا سيِّدتى .. لقد انصرف بسيارته (المرسيدس) ، ولست أدرى أين ذهب .. يمكنك سؤال (محمود) فى الاستقبال .
أسرعت (ليلى) إلى موظف الاستقبال ، وسألته فى توتُّر :
ــ أين ذهب الأستاذ (عادل) ؟
أجابها الرجل على الفور :
ــ إلى نادى (اسبورتنج) يا سيِّدتى .. لقد طلب منِّى أن أتصل به هناك ، إذا ما دعت الحاجة .. هل أتصل به ؟
اعتدلت وهى تقول فى مرارة :
ــ لا ..
لقد ذهب إليها إذن ..

ذهب إلى (هويدا) ..

إنه لم ينسَ موعده معها ..

أحرقتها الغَيْرة ، ونَبتَ فى قلبها الشكّ والفُضول ، فأسرعت إلى سيارتها ، وانطلقت بها إلى نادى (اسبورتنج) ، وهناك أسرعت إلى الحديقة ، ولكنها لم تجدهما ، فاتجهت إلى مضمار السباق ..

ورأتهما ..

رأت ذلك المشهد الذى طالما داعب أحلامها ، ولكن بصورة أخرى ..

كان (عادل) يمتطى جوادًا أبيض اللون ، ويتهادَى به فوق الحشائش الخضراء ، وأمامه جلست فتاة شقراء فاتنة ..

(هويدا) !!..

لقد نجحت الأفعى الصغيرة فى لعبتها ..

وانتزعت منها حبّها ..

انتزعته على صهوة حصان ..

حصان أبيض ..

* * *

٩ ـــ الثورة ..

لم تخبر (ليلى) (عادل) أبدًا أنها رأته فى النادى ..

لقد هَوَى قلبها بين ضلوعها ، عندما رأت غريمتها تحتلّ مكانها ، حتى فى مشهد صنعته فى أحلامها ، قبل أن يصنعه عالم الواقع ..

وانسحبت ..

انسحبت فى صمت ، وقلبها يبكى دمًا ..

وعندما عادت إلى مكتبها بالفندق ، كانت أقرب إلى جثة حيّة ..

وحاولت أن تنهمك فى العمل ..

حاولت أن تدفن آلامها فى مزيد من العمل ، ولكن هذا أورثها عصبيّة واضحة ، انعكست على إدارتها للفندق ، وتعاملاتها مع العاملين فيه ، ومع النزلاء ، حتى أن (عادل) قال لها يومًا :

ـــ رُوَيْدَك يا (ليلى) .. أسلوبك هذا سيهدم كل ما بنيته .

يومها انفجرت صائحة فى وجهه :

ــ هذا هو أسلوبى ، وليس لك حق الاعتراض عليه .. هذا ما ينص عليه التعاقد بيننا .. أليس كذلك ؟

بدا الضيق على وجهه ، وهو يقول :

ــ أعلم أنه ليس لى حقُّ الاعتراض يا (ليلى) ، ولكننى أخشى ألا تحتمل أعصابك هذا طويلًا .

صرخت فى عصبيَّة :

ــ هذا شأنى .

أرادت أن تكتفى بهذا القول ، ولكن شيطان الغَيْرة والغضب فى أعماقها ، جعلها تضيف فى حدَّة :

ــ إننى لم أتدخل فى أمر علاقتك بـ (هويدا) .. أليس كذلك ؟

ارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يقول :

ــ علاقتى بـ (هويدا) ؟!.. أهذا ما يحنقك ؟

هتفت فى غضب :

ــ يحنقنى ؟!.. وما شأنى أنا ؟.. إنها علاقة تخصَّك وحدك .

تطلع إليها لحظات فى حَيْرة ، ثم غمغم :

ــ (ليلى) .. لقد أسأت فهم الأمر .

صاحت فى حدَّة :

ــ هذا أيضًا لا يعنينى .

ابتسم فى توتُّر ، وهو يقول :

ــ إن علاقتى بـ (هويدا) مجرَّد ..

قاطعته فى عصبيَّة :

ــ إعجاب .. أعلم ذلك .. وحتى لو كانت حبًّا ، لن يهمَّنى ذلك .

تنهَّد فى يأس ، وقال :

ــ حسنًا .. سأتركك الآن .. من الواضح أن الحديث معك غير مجدٍ .

هتفت محتدَّة :

ــ صدقت .

تطلَّع إليها لحظات فى صمت ، ثم اتجه إلى الخارج ، مغمغمًا :

ــ حسنًا .. إلى اللقاء .

تركته ينصرف ، ولم يكد يُغلق الباب خلفه ، حتى هتفت فى حَنَق :

ــ اللَّعنة !!

وألقت جسدها على ذلك المقعد ، خلف مكتبها ، ودفنت وجهها فى كفَّيها ، وراحت تبكى فى حرارة ..

لم تدر كم بكت ، ولكنها انتبهت على صوت طرقات تُدوِّى

فى أذنيها ، ثم لم تلبث أن أدركت أنها مجرَّد طرقات هادئة ، على باب مكتبها ، فأسرعت تجفِّف دموعها بمنديلها ، وهى تقول :

ــ ادخل .

رأت الأستاذ (مختار) يدلف إلى مكتبها ، وهو يبتسم ابتسامته التقليدية الهادئة ، فغمغمت :

ــ مرحبًا يا أستاذ (مختار) .. تفضَّل .

جلس على المقعد المواجه لها ، وتأمَّل وجهها الشاحب لحظات ، ثم قال :

ــ يبدو أنك تبذلين جهدًا مضاعفًا فى العمل .

غمغمت فى اقتضاب :

ــ الأمور تحتِّم ذلك .

تنحنح لحظة ، ثم قال :

ــ ولكنهم يقولون إنك قد صرت شديدة العصبيَّة .

هتفت فى حدَّة :

ــ من هم الذين يقولون هذا ؟

ابتسم ، وهو يقول فى إشفاق :

ــ أظن أن ذلك أوضح من أن يقوله أحد ما .

قالت فى عصبيَّة :

ــ العمل يضطرنى إلى ذلك .

أجابها فى هدوء :

ــ ولكن الأستاذ (عادل) كان يقوم بضعف العمل ، ولكنه لم يصب بتلك العصبيَّة المفْرِطَة .

قالت فى حدَّة :

ــ إنه رجل .

رفع حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول فى لهجة ذات معنى :

ــ هل تقصدين أن الرجال أكثر قدرة على الإدارة من النساء ؟

عقدت حاجبيها فى غضب ، وهى تقول :

ــ ماذا تقصد ؟

هزَّ كتفيه ، وحافظ على ابتسامته الهادئة ، وهو يقول :

ــ لقد كان هناك اختبار للبحث عن أفضلكما فى إدارة الفندق .. هل نسيت ؟

هتفت فى حِدَّة :

ــ لا .. لم أنس .

ثم أضافت فى تحدٍّ :

ــ ولن أتنازل عن إدارة الفندق .

مطَّ شفتيه ، وهو يقول :

ــ أخشى أن يحدث هذا رغمًا عنك .

تراجعت هاتفة فى غضب :

ــ ماذا تعنى ؟

أجابها فى صرامة ، وكأنه يحاول كسر حدتها :

ــ أعنِى أنه هناك عقد موقَّع من كليكما ، يحتِّم تنازل أحدكما عن الإدارة للآخر ، بناء على حكم يصدر منِّى ، بعد عام كامل .

لوَّحت بيدها هاتفة :

ــ إذن فهذا ما دبَّرتماه معًا .

بدا الرجل مصدومًا ، وهو يقول :

ــ دبَّرناه ؟!

هتفت فى عصبيَّة :

ــ نعم .. هذه هى خطَّتكما .. أن تقنعانى بذلك السباق السخيف ، ثم ينتزع هو منِّى حق الإدارة ، كما انتزع نصف الفندق .. أراهن أنه قد نقدك رشوة ضخمة ، فى مقابل الحكم لصالحه .

انعقد حاجبا المحامى فى قوة ، وهو يهبّ من مقعده ، هاتفًا فى غضب :

ــ مدام (ليلى) .. لن أسمح لك بهذا أبدًا .

صمتت مبهوتة ، وأدركت أنها قد تجاوزت حدودها بالفعل ، فأطرقت بوجهها ، وغمغمت :

ــ معذرة يا أستاذ (مختار) .. إننى لم أقصد ذلك .. إن أعصابى ثائرة فحسب .

غمغم الرجل فى ضيق :

ــ لا عليك .. سأتجاوز عن ذلك .

رفعت عينيها إليه ، وهى تقول فى مرارة :

ــ أظن ثورتى هذه تنتزع منِّى الفوز حتمًا .

مطَّ شفتيه ، قائلًا :

ــ لن أقحم مشاعرى الشخصية .. ثقِى فى ذلك .

زفرت فى قوة ، وأخفت وجهها بين كفَّيْها ، وهى تقول فى مرارة :

ــ لست أدرى ماذا أصابنى ؟

كانت تعلم حقًّا ماذا أصابها ، ولكنها كانت ترفض الاعتراف بذلك ..

كانت تعلم أن خسارتها له كانت تفوق احتمالها .

لقد ظهر فى حياتها كشمعة أضاءت فى حجرة مظلمة ، بعد سنوات من الاشتياق للضوء ..

ثم خبا الضوء بغتة ..

وعاد الظلام ..

خبا بأصابع غريمتها ، وابنة غريمتها ..

لقد انتعش الأمل فى قلبها ، ثم خبا فى قسوة ..
هذا ما يؤلمها ويعذّبها ..
إنها تعلم أن (عادل) يجلس مع (هويدا) فى هذه اللحظة ..
فى هذه اللحظة بالذات ..
كانت تعلم أنه قد دعاها لتناول طعام الغداء فى الفندق ..
فى مطعم فندقها .. .
وهذا ما يجعلها شديدة العصبيّة ..
كانت تكره أن تشعر بتقاربهما ..
تكره ذلك تمامًا ..
ولم يكن بإمكانها منع ذلك التقارب ..
وكان عليها أن تحتمل عذاب قلبها ..
وأن تصبر ..
فجأة ، اقتحم حجرتها كبير طهاة الفندق ، وهو يهتف فى ثورة :
ــ لن أحتمل هذا يا مدام (ليلى) .. لن أحتمله .
تطلّعت إليه فى دهشة ، وهى تقول :
ــ ما هذا الذى لن تحتمله ؟
أجابها ثائرًا :

ــ الأستاذ (عادل) .. كلنا هنا نعلم بأمر تبادلكما إدارة الفندق شهريًا ، ولكنه يتجاوز هذا .
سألته فى صرامة :
ــ ماذا حدث بالضبط ؟
لوّح بكفّه فى ثورة ، وهو يقول :
ــ لقد أصدر قرارًا بمنع الخمور فى المطعم ، وفى قاعة المشروبات ، منذ أسبوع ، وكان هذا فى غير فترة إدارته ، واحتملنا جميعًا ذلك ، علىٰ الرغم من أن الخمور كانت تضاعف الإيرادات .
قالت فى صرامة :
ــ ولكنها محرّمة .
هتف مُختنقًا :
ــ إننا نقدّمها طِيلَة عمر الفندق .
قالت فى حزم .
ــ لكل شىء نهاية .
هتف ثائرًا :
ــ ولكنه اليوم تجاوز كل شىء .
زفرت فى ضيق ، وهى تسأله فى عصبيّة :
ــ ماذا فعل ؟.. قُلْ أو انصرف .

اعتدل فى عصبيَّة ، وهو يقول فى حدَّة :
ـ لقد فَصَلنى .
ارتفع حاجباها ، واتسعت عيناها فى دهشة ، وهى تقول :
ـ فَصَلك ؟!
هتف الرجل :
ـ نعم .. فَصَلنى .. فَصَلنى مدَّعيًا أننى أضيف النبيذ إلى الطعام .
سألته فى اهتمام :
ـ وهل تفعل حقًّا ؟
لوَّح بكفِّه ، هاتفًا :
ـ هناك بعض الأطعمة لا تصلح إلا بذلك .
ثم مال نحوها ، مستطردًا فى حدَّة :
ـ ولكنه كان يحاول إرضاء تلك الشقراء .
انتفض جسدها ، وهى تقول :
ـ شقراء ؟!.. أتقصد (هويدا) ؟
اعتدل هاتفًا :
ـ لست أدرى اسمها ، ولكنها لم تكد تشكو من الطعام ، حتى فصلنى بلا نقاش ، ولقد أخبرته أن هذا يُعَدُّ فصلًا تعسفيًا ، فقال إنه سيحتمل النتائج ، و .....

لم تكن تستمع إليه ..
كانت تفكِّر فيما حدث ..
لقد بلغ حبه لـ (هويدا) مداه ..
لقد فصل كبير الطهاة من أجلها ..
إنه لم يعد يحتمل ما يؤذيها ..
وتفجَّرت ثورة غضب فى أعماقها ، فهبَّت هاتفة :
ـ لقد تجاوز حدوده حقًّا هذه المرَّة .
عقد الأستاذ (مختار) حاجبيه ، وهو يقول محذِّرًا :
ـ مدام (ليلى) .. حذار أن .....
قاطعته فى حدَّة :
ـ أستاذ (مختار) .. أرجوك ألا تتدخل فى أسلوب إدارتى للفندق .
حمل الرجل حقيبته ، وهو يقول فى غضب :
ـ حسنًا .. لن أتدخل .. سأنصرف .
تركته ينصرف ، وهى تقول لكبير الطهاة :
ـ أرسل من يبحث عن الأستاذ (عادل) ، واطلب منه أن يأتى إلى مكتبى على الفور .
ارتفع صوت (عادل) ، يقول فى صرامة :
ـ لا داعى .. هأنذا .

أدهشها أن انكمش كبير الطُّهاة فى خوف ..
وأدهشها أكثر أن شعر قلبها بمثل هذا الخوف ..
ولكنها قرَّرت أن تقاوم ..
تقاوم حبّه .. وخوفها ..
وستواجهه ..
ستواجهه فى حزم ..

* * *



١٠ ــ اعتراف ..

تراجع كبير الطُّهاة فى خوف واضح ، أمام نظرات (عادل) الصارمة ، ولكن (ليلى) تمالكت نفسها ، وهى تقول فى حِدَّة :

ــ أستاذ (عادل) .. أريد أن أتحدَّث إليك .

أدار هو بصره فى بطء إلى كبير الطُّهاة ، وقال فى صرامة :

ــ انصرف .

هَرْوَل الرجل منصرفًا ، كما لو أنه كان يدعو الله أن ينطق (عادل) بهذه الكلمة ، فأغلق (عادل) الباب خلفه ، وسمع (ليلى) تقول فى توتُّر :

ــ هل تدير هذا المكان بالإرهاب ؟

أجابها فى هدوء يحمل رنَّة الصرامة :

ــ الحزم مطلوب فى الإدارة دومًا .

قالت فى غضب :

ــ ولكن المجاملة مرفوضة .

قال فى حزم :

ــ بالطبع .
هتفت محتدّة :
ــ لماذا فصلت كبير الطُّهاة إذن ؟
أجابها فى هدوء :
ــ لأنه تجاوز حدوده .. لقد أمرت بعدم تقديم الخمور ، أو حتى استخدامها فى الفندق ، ولكنه تجاهل أوامرى ، وقدّم لحمًا مطهُوًّا بالنبيذ .
قالت فى حدّة :
ــ ومن أخبرك أنه قد فعل ؟
قال فى هدوء :
ــ (هويدا) .. لقد قدّم لها هذا اللحم المطهُو بالنبيذ .
هتفت غاضبة :
ــ إذن فقد فصلته لتجاملها .
عقد حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :
ــ مطلقًا .. لست أجامل فى أمور العمل .
صاحت غاضبة :
ــ بل تفعل .. لقد خلَبَتْ تلك الشقراء لُبّك ، وجعلتك تتجاوز كل شىء من أجلها ، حتى أنك قد فصلت كبير الطهاة ، فى فترة ليس من حقّك تولّى الإدارة فيها .

قال فى ضيق :
ــ لقد كان هذا لمصلحة العمل .
هتفت فى غضب ، وهى تلوّح بكفّها :
ــ بل لتجامل (هويدا) ، و ......
أمسك معصمها بغتة ، على نحو انتفض له جسدها ، وقال فى صوت أعاد كل الخوف إلى قلبها :
ــ لم أكن أجاملها .
ارتجف صوتها ، وخفت كثيرًا ، على الرغم منها ، وهى تغمغم :
ــ حقًّا ؟!
أومأ برأسه إيجابًا ، وقال فى حزم :
ــ ليس هناك ما يدعونى إلى مجاملتها ، ثم إنها استحسنت اللحم المطهُو بالنبيذ ، ولم تشك منه .
حدّقت فى وجهه بدهشة ، وغمغمت :
ــ ولكن كبير الطهاة قال ......
قاطعها فى صرامة :
ــ إنه كاذب .
ثم ترك معصمها ، وأضاف :
ــ إن ما حدث كان عكس ما تصوّرت أنت تمامًا .. لقد

أخطأ الرجل عمدًا ، وكان من الضرورى أن أتخذ حِيَاله موقفًا صارمًا ، بل حِيَال من دفعه إلى فعل ما فعل .

غمغمت فى دهشة :

ــ من دفعه ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ نعم .. إنها (زبيدة) .. (زبيدة) دفعته إلى تجاوز أوامرى ، وإلى تقديم اللحم المطهُو بالنبيذ ، وطلبت من ابنتها أن تبدى استحسانها له ، وأن تستغل فتنتها للتأثير علىَّ ، وإقناعى بإعادة تقديم الخمور .

جلست على مقعدها فى بطء ودهشة ، وقد أذهلها ما يقول ، وغمغمت :

ــ ولكن لماذا ؟

ابتسم فى مرارة ، وهو يقول :

ــ لأنها تعلم أن تقديم الخمور يعطى عائدًا أكبر ، وهى تريد أن تؤمِّن لابنتها دخلًا أكبر .

غمغمت ذاهلة :

ــ لابنتها ؟!

ابتسم ، وهو يقول :

ــ لهذا كانت صدمتها شديدة .

ارتجف قلبها لعبارته الأخيرة ، وسألته :

ــ ماذا تعنى ؟

ابتسم أكثر ، وهو يقول :

ــ لقد غضبتْ (هويدا) ، عندما فصلت كبير الطهاة ، على الرغم من إبدائها للاستحسان بشأن اللحم المطهُو بالنبيذ ، وحاولت أُمها أن تدعونى لمصالحتها ، وإعادة كبير الطهاة إلى منصبه ، ولكننى صنعت العكس .

تألق فى عينيه ذلك البريق العابث ، الذى افتقدته طويلًا ، وهو يضيف :

ــ لقد فصلتهما .

ردَّدت خلفه فى ذُهُول ، وقلبها ينتفض :

ــ فصلتهما ؟!

ابتسم ابتسامة عريضة ، وهو يقول :

ــ نعم .. لقد طلبت منهما ألا يعودا إلى الفندق أبدًا .

صرخ قلبها فرحًا ، والتمعت عيناها بدموع السعادة ، وهى تكاد تنكر ما سمعته منه ، من فرط عدم تصديقها ، ولم يمكنها سوى أن تغمغم :

ــ (عادل) .

أطلَّت نظرة حانية من عينيه ، وهو يقول :

ـ كان من الضرورى أن أتخذ موقفًا صارمًا منهما .. لقد احتملتهما طويلًا ، وكان ينبغى أن ألقنهما درسًا قاسيًا ، حتى لا يحاولا اللعب بمشاعر الآخرين مرة أخرى .

غمغمت فى سعادة غامرة :

ـ ولكن لماذا ؟.. لماذا وافقتهما منذ البداية ؟

عاد ذلك البريق العابث يتألق فى عينيه ، وهو يقول فى خفوت :

ـ حتى أثير غَيْرتك فحسب .

ابتسمت فى حياء ، وأطلق قلبها زغرودة فرح ، وهى تغمغم :

ـ غَيْرتى أنا ؟!

لقد اعترف ..

لقد اعترف ، على نحو غير مباشر ، بأنه يحبُها ..

اعترف ..

يا لسعادتها !!..

لقد ابتسمت لها الحياة أخيرًا ..

وفى هدوء أضاف هو :

ـ (هويدا) ليست من الطراز الذى يصلح لى .. لقد تأكدت من ذلك سابقًا .. إن طرازى المفضّل هو .....

صمت لحظة ، ثم أضاف فى حنان :

ـ هو أنت .

رقص قلبها فرحًا ، وخفضت عينيها ، وهى تغمغم فى سعادة وحياء :

ـ (عادل) .. إننى .....

نهض من مقعده ، وهو يقول فى حُبٍّ واضح :

ـ (ليلى) .. سأتركك الآن ، فستحتاجين إلى البقاء وحدك لحظات .

رفعت عينيها إليه ، وهى تهتف :

ـ ابقَ قليلًا .

ابتسم فى حنان ، وهو يقول :

ـ سأعود .

وغادر حجرتها فى هدوء ، تاركًا قلبها يخفُق خلفه فى سعادة بالغة ..

إنه يحبّها ..

يا لسعادتها !..

لقد ابتسم لها القدر أخيرًا ..

ابتسم حُلمها ..

عاد إليها خيالها ..

لقد أتى فارس أحلامها فوق جواده الأبيض المجنّح ..

أتى ليحملها معه إلى سماء الحُبّ ..
إلى عالم العشق ..
واسترخت فى مقعدها ، وقلبها ينبض فى عنف ..
وفجأة ، اقتحمت حجرتها سيِّدة ..
بل كانت إلٰهة الجمال نفسها ..
شابة فى أوائل العشرينات من عمرها ، فاتنة بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ ..
فاتنة حتى أن فتنة (هويدا) كانت تبدو أمامها قُبحًا .. بل بشاعة ..
وتطلَّعت (ليلى) فى دهشة إلى تلك الفاتنة الساحرة مبهُورة ، قبل أن تغمغم الفاتنة :
ـــ معذرة .. لقد أخبرونى أنه هنا .
سألتها (ليلى) فى حَيْرَة :
ـــ من هو ؟
أجابتها تلك الفاتنة فى هدوء :
ـــ (عادل) .. (عادل رمزى) .. لقد أخبرونى أنه هنا .
هَوَى قلب (ليلى) بين قدميها مرَّة أخرى ..
هذه الفاتنة تبحث عن (عادل) ..
وهى تخاطبه باسمه مجرَّدًا !!..
من هى ؟

ما علاقتها به ..
وشعرت (ليلى) بالغَيْرَة ..
شعرت بغَيْرَة لا حصر لها ..
وراحت تقارن جمالها المتواضع بتلك الفتنة الطاغية ..
وخسرت المقارنة ..
كان من الواضح أنها لن تساوى شيئًا أمام ساحرة كهذه ..
وزاد هذا من غَيْرَتها ..
ومن يأسها ..
وحاولت أن تسأل الفاتنة عمَّن تكون ..
حاولت أن تسأل نفسها عمن يمكن أن تكون ..
إنها ليست شقيقته حتمًا ..
إنها حتى لا تشبهه ..
ولكن من تكون ؟..
من ؟..
عجز لسانها عن إلقاء السؤال ، ولكن بدا وكأن الفاتنة قد قرأت أفكارها ، فقد اعتدلت فى اعتدادٍ ، وقالت فى صوت يحمل رنَّة الفخر :
ـــ إننى زوجته .
وانفطر قلب (ليلى) تمامًا ..

* * *

١١ ــ الشريكان ..

لم تحتمل البقاء ..

كانت المفاجأة أقوى من احتمالها ..

وأقوى من احتمال أى مخلوق فى موضعها ..

هذه الفاتنة زوجته ..

إنه متزوِّج ..

إنه مخادع كبير ..

لقد تطلَّعت إلى أصابعه ، عندما التقت به لأوَّل مرَّة ، ولم يكن يرتدى دِبْلَة خِطْبة أو زواج ..

ولكنه متزوِّج ..

هذه الفاتنة قالت إنها زوجته ..

عادت إلى منزلها فور انصراف الفاتنة من مكتبها ، وراحت تبكى فى ألم ومرارة ..

لماذا يقسو عليها القدر إلى هذا الحد ؟..

لماذا يمنحها ثم يسلبها ما منح ؟..

إن الجائع يستطيع أن يحتمل الجوع ، ما دامت رائحة الطعام لا تصل إلى أنفه ، وما دام لا يرى الطعام أمامه ..

ولكن القدر يمنحها السعادة ، لتراها ، وتشعر بها ، وتلمسها ، وتشم رائحتها ..

ثم ينتزعها منها فى قسوة ..

لماذا ؟..

لماذا ؟..

راحت تبكى ..

وتبكى ..

وتبكى ..

ثم ارتفع رنين جرس الباب ..

لماذا يقتحم شخص ما خلوتها دَوْمًا ، كلما بكت ؟..

تجاهلت الرنين ، ولكن صاحبه راح يواصل قرع الجرس فى إلحاح ، فنهضت تجفِّف دموعها ، وفتحت الباب ..

وتوقَّف قلبها عن النبض ..

أو هكذا خُيِّل لها ..

لقد وجدته أمامها ..

(عادل) بشحمه ولحمه ..

وكان يبدو قلقًا متوتِّرًا ..

ونطق بكلمة واحدة :

ـ (ليلى) .

دفعت الباب فى وجهه ، وهى تهتف فى مرارة :

ـ اذهب .. اذهب .

منعها من إغلاق الباب ، وهو يهتف :

ـ اسمعينى يا (ليلى) .. أرجوك .

بكت وهى تهتف :

ـ اذهب يا (عادل) .. اذهب .. لست أرغب فى رؤيتك .

قال فى ألم :

ـ استمعى إلىّ أوّلا .. أرجوك .

سالت دموعها فى غزارة ، وهى تقول :

ـ أستمع إلى ماذا ؟.. لقد خدعتنى ..

هتف وكأنما أراد أن يعلوَ صوته على صوت بكائها :

ـ إنها ليست زوجتى .

تجمَّدت أطرافها ، وحدَّقت فى وجهه فى ذهُول ، وهى تغمغم :

ـ ليست زوجتك ؟!

غمغم فى مرارة :

ـ لقد كانت زوجتى فيما مضى ، ولكنها لم تعُد كذلك .. لقد طلَّقتها .

ردَّدت بنفس الذهول :

ـ طلَّقتها ؟!

دفع الباب فى رفق ، ودلف إلى منزلها ، وأدركت أنه قد أصبح داخله بالفعل فغمغمت :

ـ ماذا يقول الناس ؟!.. إننى أعيش وحدى .

قال فى ضيق :

ـ فليذهب كل الناس إلى الجحيم .. أريد أن أتحدَّث إليك .

تركته يتخذ لنفسه مقعدًا ، وتركت باب شقتها مفتوحًا ، ثم اتخذت مقعدًا بعيدًا بعض الشىء ، وتطلَّعت إليه فى توتُّر ، فالتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

ـ إنك تريدين معرفة كل شىء عنّى .. أليس كذلك ؟

غمغمت فى خُفوت شديد :

ـ بلَى .

زفر فى قوة ، وقال :

ـ حسنًا .. الآن فقط ، وبعد لقائى الأخير بـ (چيهان) ، يمكننى أن أقص عليك كل شىء ..

صمت لحظات ، وعاد يزفر فى قوة قائلاً :

ــ قصتى ليست مثيرة إلى هذا الحد .. إن اسمى الكامل هو (عادل إسماعيل رمزى) .

غمغمت فى دهشة :

ــ (إسماعيل رمزى) ؟!.. المليونير ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال فى مرارة :

ــ بل الملياردير .. لقد كانت ثروته وبالاً على حياتى ، على الرغم من أننى ابنه الوحيد .. لقد كان ثراء والدى هو الذى جذب (چيهان) وأمها ، وجعلهما ينسجان شباكهما حولى ، تمامًا كما كانت (زبيدة) تفعل ، ولكننى أيامها كنت شابًا غريرًا .. لم يَخْبُر الدنيا بعد ، فوقعت فى الشباك ، وأحببت (چيهان) ، وطلبت من والدى أن يزوّجنى إيّاها .

مطّ شفتيه فى ألم ، وقال :

ــ ولقد فعل .. لم يكن يرفض لى مطلبًا .. وتزوّجت (چيهان) ..

أغلق عينيه ، وكأنه يحاول احتمال ذكرى أليمة ، قبل أن يضيف :

ــ وأنجبنا طفلة جميلة ، حملت فتنة أمها وجمالها ، وكانت لى مصباحًا ينير ذلك الظلام ، الذى أحاطتنى به (چيهان) ..

لقد كانت زوجتى فاتنة حقًا ، ولكنها كانت كالشَّراك الخداعية ، جميلة ظاهريًا ، وشديدة الفتك داخليًا .. مستهترة ، أنانية ، لا تبالى بأى شىء فى العالم ، سوى جمالها وفتنتها ..

وزفر مرَّة أخرى ، وهو يستطرد :

ــ حتى ابنتها ، لم تكن تهتم بها ... حتى .. حتى ......

دمعت عيناه ، وهو يقول فى ألم :

ــ حتى قَتَلَتْها .

ارتجف جسد (ليلى) ، وهى تقول فى هَلَع :

ــ قتلتها ؟

قال فى مرارة :

ــ نعم .. قتلتها .. تركتها وحدها بالمنزل ، وذهبت لتصفّف شعرها ، فسقطت المسكينة من أعلى الدّرج ، ولقيت مصرعها على الفور .

وفرَّت دمعة من عينيه ، وهو يستطرد :

ــ قتلتها المجرمة .

خفق قلب (ليلى) لوعة ، فانتقلت إلى جواره ، وربَّتت على كتفه متعاطفة ، فأضاف :

ــ وكان هذا فصل الختام فى زواجنا ، وطلّقت (چيهان) ، وقرّرت أن أترك (القاهرة) كلها ، وحاول أبى إثنائى عن ذلك ،

ولكنه وجدنى مصرًا، فلم يكن منه إلا أن ابتاع لى نصف الفندق، ومنحنى نصف مليون جنيه دفعة واحدة، وطلب منّى أن أعمل، وأن أبذل أقصى جهدى فى الفندق، عسى أن ينسينى ذلك (چيهان).

تمتمت (ليلى):

ـ ألهذا كنت تعمل بكل هذا الجهد ؟

أومأ برأسه إيجابًا، وقال:

ـ نعم.. ولهذا أيضًا تركت (زبيدة) وابنتها تنسجان شباكهما حولى، بعد أن تركت لك الإدارة.. كنت أحتاج إلى من يُبعدنى عن ذكرياتى.. ثم أتت (چيهان).. أتت فى محاولة لاستعادتى، وجاءت محاولتها بنتيجة عكسية.. جعلتنى أدرك أننى لم أعد أريدها.

ورفع عينيه إليها، مستطردًا فى لهجة أقرب إلى الضراعة:

ـ إننى أريدك أنت.

خفق قلبها، وهى تغمغم:

ـ (عادل).. إننى أكبرك..

أمسك كفّها فى راحته، واحتضنه فى حُبٍّ، وهو يقول:

ـ ومن يهتم ؟

تمتمت فى حياء:

ـ وماذا عن زوجى الراحل ؟

قال فى شوق:

ـ لقد رحل.. أما أنا، فأتيت.

ثم ابتسم فى حنان، وهو يضيف:

ـ ويمكنك أيضًا أن تتولّى إدارة الفندق إلى الأبد.. حتى بعد.....

اتسعت ابتسامته، وهو يضيف:

ـ حتى بعد أن نتزوّج.. ونصبح شريكين فى العمل والحياة..

خفضت عينيها فى سعادة وحياء، وهى تقول:

ـ لا يا (عادل).. بعد الزواج لن أتولّى إدارة الفندق، ولا حتى إدارة المنزل.. سأترك ذلك لزوجى..

ورفعت عينيها إليه، مستطردة فى حُبٍّ:

ـ لك.

امتلأ قلباهما بحُبٍّ جارف، وسعادة غامرة..

لقد التقيا..

التقى الشريكان..

والتقى القلبان..

إلى الأبد..

* * *

[تمت بحمد الله]

زهور
سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

المؤلف



د. نبيل فاروق

السلسلة الوحيدة التى لايجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

الشريكان

صارت (ليلى) أرملـــة ،
وتصوَّرت أن قلبها لن يعرف
الحب أبـــــدًا ، ثم ظهـــــر
(عادل) فى حياتها وعاد قلبها ينبض ..
ولكن إلى أين يمضى نبض قلبها ؟..
وهل ينمو الحب فى قلبـى
شريـــكين متصارعين ؟



الثمن فى مص... ١
ومايعادل دولارًا أمريكيا ... لدول العربية والعالم